كيف نتعامل مع الطفل وأدبه

اسماعيل الملحم



كيف نتعامل

مع الطفل وأدبه؟

الطبعة الأولى ــ دمشق ــ ١٩٩٤
٢٠٠٠ نسخة

تنضيد الكتروني : دار علاء الدين

صمم الغلاف:الفنان غالب الصفدي

عنوان الناشر :

دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة
دمشق ــ ص . ب : ٣٠٥٩٨
هاتف : ٤٣٧١٥٨ ــ ٤٢٧٣٥٣
فاكس : ٧٢٧١٥٩
تلكس : ٤١٢٥٤٥

توطئة

لا شك في أن الصورة الحقيقية لنمو أدب الأطفال في الوطن العربي لا تبعث كثيرا على التفاؤل، فالنتاج الأدبي في هذا المجال في تراجع، بعد أن شهد عام الطفل الدولي ١٩٧٩ نشاطا في الكتابة للأطفال في أجناس أدبية متنوعة.. وأفردت الدوريات اليومية صفحات أو زوايا أسبوعية للقصة والشعر، كما أعدّت الدوريات الشهرية ملفات خاصة بأدب الأطفال في بعض أعدادها، إضافة لإصدارها أعدادا خاصة بهذا الأدب، ناهيك عن الكتب والمجلات التي تخصصت بنشره..

وتعليل التراجع قد يكون سهلاً لا يحتاج إلى الكثير من التمحيص والدراسة؛ لأن ما أنتج وما ينتج اليوم على صغر المساحة التي يشغلها لم يكن أكثر من محاولاتٍ اجتهد أصحابها في تشذيبها وتحويرها عما يصدر للكبار في بعض الأحيان، أو أنهم قسروا أقلامهم لتسهم في موجة الكتابة للأطفال، ومع الأسف، تم ذلك في معظم الأحيان دون هدف مرسوم، أو دراسة تأخذ في الاعتبار طبيعة متلقي هذا الأدب وحاجاته واهتماماته.

ولعل اجتهاد بعض الكتاب تمخض عن مبدأ أن الطفل مخلوق يحتاج إلى الحب والحنان فأخذته العاطفة الجياشة فكتب انطلاقا منها أدبا كله عاطفة مفعما بالحب والحنان.

وبعضهم اعتبر الكتابة للأطفال درساً تعليمياً، فصبّ جهده على صوغ نتاج أدبي فيه الكثير من الوعظ والارشاد والمعارف، وكان ذلك مع الأسف على حساب فنية الأدب وجمالياته.

لا نزعم أن لدينا الوصفة السحرية لنتاج أدبي تتوافر فيه كل الخصائص الضرورية لأدب موجه للطفل، لا يأخذه الباطل من أية جهة من جهاته. ولكن المحاولة ترمي إلى ابلاغ القارئ والمهتم بالطفل وثقافته والذي ينذر قلمه من أجل النهوض بثقافة الطفل بعض الأسس التي لا بد منها في تأسيس أدب الطفولة، انطلاقا من الوعي

بأهمية هذه المرحلة من حياةالانسان بالنسبة له كفرد، وبالنسبة لمستقبل الجماعة، وبطبيعتها وحاجاتها، وبدور المطبوعة في تنمية ثقافة للطفل تمتاز بملاءمتها لطبيعته وبتلبيتها لحاجاته وبقدرتها على الاسهام في نمو شخصيته المتوازنة المتكاملة، وبمد يد العون له ليكون أقدر على التكيف مع الظروف البيئية والتغيرات الثقافية والحضارية، دون أن يغلبّ النتاج الأدبي في هذا الباب العنصر التعليمي أو العنصر العاطفي على العناصر الفنية في النص الأدبي وجمالياته وعلى قدرته في إحداث الإدهاش عند المتلقي، وإحداث المتعة لديه.

ولكن أدب الأطفال هو بصورة أساسية جزء من عملية تثقيف الطفل، هذه العملية التي لا ينهض بأعبائها النتاج الأدبي، وإنما هي تقوم على عاتق مؤسسات اجتماعية وتربوية أولها وأهمها الأسرة، والمدرسة ووسائط الاتصال المختلفة التي تحمل فيما تحمله ثقافة موجهة للطفل يكون الأدب أحد عناصرها. وقد يتسع مفهوم الأدب تبعا للدور الوظيفي الذي يملك أن يسهم فيه ليُعنى ، أي الأدب ، بكل ما يكتب للطفل وعنه في آن واحد، في مختلف فروع الثقافة الانسانية بحيث يغطي كل أساليب السلوك وأنماط التفكير وعالم القيم والعالم الفيزيائي.. الخ.

ولتتضح الصورة التي يمكن أن تفتح الأعين على أدب للطفل ليس من اليسير على كل كاتب أن يسهم فيه الاسهام الذي يحوز على الحد الأدنى من الفائدة . يكون من مسوغات هذه الدراسة أن تبدأ بالقاء بعض الاضواء على مفهوم الثقافة ووجهها الوظيفي الذي سيكون بمثابة مقدمات قد تكون ضرورية وناجحة في رسم خطى ذات شأن للولوج إلى وظيفية أدب الأطفال .

- ١ -
الطفل والثقافة

الطفل والثقافة

ترمز الطفولة إلى البداية، كما ترمز إلى تجدد الحياة وتجدد المجتمع والمستقبل، لذلك فإنها منذ بداية الكون كانت موضع اهتمام الراشدين، وترتبط الطفولة في التراث الشعبي بكثير من المعتقدات والعادات التي عرفتها الشعوب. وإن شهدت الطفولة في بعض الأحيان بعض الإهمال بسبب من جهل أو قصور عند الانسان قديماً فطلب من الصغار أن يسلكوا مسلك الكبار أو أنهم غُمسوا في ميدان العمل في سن مبكرة، أو أنه في ظروف الاستغلال واللهاث المجنون وراء النزعات الاستهلاكية في العصر الحاضر تضطر الظروف الصعبة الأهل على الدفع بأبنائهم في سن مبكرة إلى سوق العمل بشكل أو بآخر، أو أن فَقْدَ الطفل لأهله بسبب ما من التعرض لكوارث الطبيعة أو لدمار الحروب أو للفاقة أو لأسباب أخرى اجتماعية أو اقتصادية تضطر الطفل لأن لا يعيش طفولته فيتشرد متسولاً أو شبه متسول أو بائعاً للبضاعة الرخيصة أو غير ذلك...

على الرغم من كل ذلك فإن أجلى ما تكون عليه الصورة هو ذلك الاهتمام المتزايد بالطفل في المجتمعات المعاصرة حيث تطورت النظرة إلى الطفل، وأصبح احترام الطفولة والسعي إلى فهمها ومعرفة طبيعة كل فترة زمنية من فترات نموها والكشف عن حاجاتها سمة من سمات هذه العصر.

ويتسع المجال ليكون عالم الطفولة أحد مجالات البحث العلمية والدراسة الاجتماعية، ولتأخذ الدول والمؤسسات الاجتماعية والعلمية على عاتقها وظيفة البحث في الطفولة بهدف معرفتها معرفة أقرب ما تكون إلى الحقيقة بعيداً عما توارثه الناس من أساطير وخرافات ومعلومات بعيدة عن الموضوعية. ولتتوج ميادين علم النفس بميدان هام هو (علم نفس الطفل). ولم يقتصر الأمر على ذلك بل أن علوماً أخرى قد أسهمت في الكشف عن رحابة عالم الطفل واتساعه وغناه بالمعطيات منها على سبيل المثال علوم التربية والبيولوجية والاجتماع والفيزيولوجية واللغة وغيرها.

هكذا تنفتح أبواب جديدة من المعرفة عن الطفل وعالمه، فلم نعد نجهل عنه أشياء كثيرة، كما كان الحال عليه قبل الاكتشافات الحديثة سواء في علم النفس العام أم في مجالات علم نفس الطفولة أو علم النفس التربوي والنمائي وغيرها..

وليس في القول بصدد وصف العصر الحاضر بأنه عصر الطفولة مجانبة للحقيقة أو تجنّ عليها.

ذلك أن نظرة جديدة قد ولدت ونمت وقلبت نسب الأمور، فحيث كان الكبار يعمدون إلى التضحية بمرح الطفولة وشدة ميل الأطفال إلى الحركة واللعب من أجل أهداف رسموها ليس أقلها معاملة الطفل كما يعامل الراشد، واعتباره راشداً صغيراً لا يختلف عنه سوى بالحجم وعدد سنوات العمر، فإن الاتجاه الحديث يتجلى باعتبار الطفولة مرحلة مستقلة بذاتها، حقاً أنها الطريق إلى الرشد، لكنها قمينة بأن يحياها صاحبها ويعيشها كما هي دون كبت أو ضغط أو إكراه.

وأخذ المربون والمهتمون بعالم الانسان يرون فيها مؤشر بناء شخصية الفرد، وأن لخبراتها أثرها الكبير والأساسي في مستقبل حياة صاحبها.

إذ أنّ حياة الانسان الكدرة والصافية تعود إلى ينبوعها في ذلك العهد عهد الانسان الطفل،كما يقول (فروبل)[1]

فليس مقبولاً أن تضحي التربية بأحد جوانب الشخصية عند الانسان في وقت تعلّمه، مثلاً عل مقاعد الدرس، من أجل أحد الجوانب الأخرى. وصار من باب المسلمات أن يُراعى في كل ما يتعلق بالطفل حاجاته واهتماماته، ولعله فيما قاله المربي الأمريكي الشهير (جون ديوي) من وصف بارع يؤدي إلى إيضاح ما قصدنا إليه من عدم الافتئات على أحد مكونات شخصية الطفل باعتبار أن ذلك نوع من عمليات العدوان التي يقصد منها إيذاؤه، يقول (ديوي):

"لكل عبارة موسيقية غاية، ومع ذلك لا نستطيع أن نقول بان الجزء السابق منها يوجد من أجل النهاية أو الغاية النهائية العظيمة للقطعة، كذلك الانسان لا يستطيع أن يغدو راشداً إذا لم يك من قبل طفلاً، فالطفل لم يوجد بسبب سن الرشد أو من أجلها".[2]

---

(١) فروبل: (١٧٨٢ . ١٨٥٢)، مربّ ألماني كان يدعو لحدائق الأطفال والتربية بوساطة اللعب، أسس أول مدرسة لتدريب معلمات رياض الأطفال، عن بول فولكييه (المدارس الحديثة ترجمة عبد الله عبد الدائم) ورفيقيه . ص٢٨-٣٣

(٢) اسماعيل القباني: التربية عن طريق النشاط . ص٤٠ .

الطفل كائن اجتماعي ذو طبيعة نفسية وبيولوجية والاهتمام به هو اهتمام موجه إلى شخصيته من حيث هي كل موحد، وليست مجرد مجموع أجزائها، وليس الكائن البشري حاضراً فحسب ولكنه ذو تاريخ وحاضره حلقة من حلقات نموه الذي يتجه إلى المستقبل.

وكل فعل يهدف إلى بناء عالم المستقبل الأفضل يكون منفصلاً عن بناء الانسان نفسه هو جهد ضائع في أحسن الأحوال، بل هو جهد مدمر.

وما الوظيفة التثقيفية التي تنطوي عليها وسائط الاتصال سوى أحد مظاهر الفعل البشري الذي يهدف إلى تنمية الشخصية، وقد أدركت البشرية في عصرنا الحاضر خطورة هذه الوظيفة وأثرها في مستقبل الإنسانية إذ أقرت الجمعية العامة للأمم المتحدة في العشرين من شهر تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٥٩ (إعلان حقوق الطفل) الذي ينص في الفقرة السابعه ...ه على أنه:

"من حق الطفل أن يتلقى تعليماً مجانياً وإجبارياً على الأقل في المراحل الأولى، ويجب أن يعطى تعليماً يرقى بثقافته العامة، ويساعده على أساس من الفرص المتكافئة وأن ينمي قدراته ومداركه وإحساسه بالمسؤولية الأدبية والاجتماعية، ويصبح عضواً نافعاً في المجتمع"(٣)

أما لائحة حقوق الانسان فقد جاء في الفقرة الأولى من المادة السادسة والعشرين منها:

"لكل شخص الحق في التعليم، ويجب أن يكون التعليم بالمجان في مراحله الأولى والأساسية على الأقل، وأن يكون التعليم الأولي الزامياً، كذلك يجب تعميم التعليم الفني والمهني وتيسير القبول للتعليم العالي للجميع على أساس المساواة. وعلى أساس القدرة.".

كلّ هذا يفتح المجال أمامنا واسعاً للعناية بالوظيفة الثقافية والاهتمام بمصادرها بخاصة ما يتعلق منها بموضوع بحثنا "أدب الأطفال". والتأثيرات الثقافية تأخذ في العمل بالنسبة للانسان منذ بدايات وجوده ويستمر متأثراً بها طيلة حياته.

لكن فعلها يكون في أعلى درجات قوته حيناً، وحيناً يتباطأ أو يخف تبعاً لدرجة نمو الطفل وللظروف التي يخضع لها وجوده وتعامله مع الوسط الخارجي وكذلك بسبب من نوع الخبرات التي يمتلكها ودرجة قوتها، فحياة الانسان ما هي إلا سلسلة

---

(٣) إعلان حقوق الطفل: عالم الفكر المجلد ١٠ . العدد ٣ . ١٩٧٩ . ص١٢

من عمليات تلاؤمية (تكيفية) ذات وجه ثقافي يتأثر فيه الطفل من خلال اتصاله بالكبار الذين يتعامل معهم مباشرة بوسائل وطرق تختلف باختلاف الأشخاص والمجتمعات.

وما التفاعل بين الشخصية والمؤثرات الثقافية إلا تيار مستمر يغطي مراحل الحياة كافة، ولكن أثره في التكوين العام للشخصية وفي بنائها يكون في بعض المراحل أقوى منه في مراحل أخرى. وأن هذا الأثر يكون علىأشده في سنوات التكوين الأولى وهذا ما تؤكده الدراسات النفسية والتربوية المختلفة. يقول (رالف لنتون):

"يبدو أن عملية تكوين الشخصية يجري فيها اندماج خبرات الفرد مع صفاته التكوينية لتشكل وحدة متكاملة، وتستمر هذه العملية طوال الحياة ولكن فعاليتها تبدو على أشدها في سني النمو الأولى".(٤)

"ولا ينأى عن تأثير العناصر التثقيفية جانب من الشخصية، حتى ميوله الفطرية والأولية قابلة للتبدل والتطور بفعل هذه العمليات.

فالثقافة عنصر هام من عناصر تشكيل شخصية الانسان طفلاً كان أم راشداً. والثقافة كما يقول (ج. نيللر) في كتابه الأصول الثقافية للتربية، التي ينتجها الإنسان هي بدورها التي تصنع الإنسان. لذلك فالمجتمع الإنساني قد ابتكر وسائله وطرائقه التي بوساطتها ينقل ثقافته إلى الصغار، وعبر مؤسساته الاجتماعية المختلفة من الأسرة التي هي المجال الأول الذي يتفاعل داخله الطفل مع ثقافة مجتمعه أو تلك التعبيرات الثقافية للمجتمع كما تبدو في الأسرة وهي التعبيرات التي يكون رسوخها في شخصية الطفل أقوى من أية تعبيرات أخرى أو مؤثرات ثانية تصله خلال حياته في أي مؤسسة من المؤسسات، بخاصة وأنه يكون في مرحلة نمائية لا تسمح له بنقد ما يصل إليه وإعطائه خصوصية تنطلق من ذاته. ولعل أهم عنصر تثقيفي يتزوده الطفل من أسرته هو اللغة. فالطفل يتعلّم لغة أبويه، وتتأثر ثروته اللغوية من حيث المفاهيم التي تنطوي عليها مفرداته اللغوية أو من حيث كم المفردات ونوعها بالمستوى الثقافي للأسرة وبوضعها الاجتماعي....

ثم إن للمدرسة التي يدخلها الطفل أثرها البين في شخصيته لأنها المؤسسة التي تقدم للمتعلمين ثقافة منظمة ذات محتوى وأهداف محددة وتكون المجال الأول الذي يهيء له جواً اجتماعياً حقيقياً يختلف عما هو في الأسرة.

---

(٤) عن رالف لنتون: دراسة الانسان . ترجمة عبد الملك الناشف . المكتبة العصرية . بيروت في: ذكاء الحر . مجلة الفكر العربي ع١٧ و١٨ ص٢٣٢ .

وليست الأسرة والمدرسة المؤسستين الاجتماعيتين الوحيدتين اللتين تسهمان في تثقيف الطفل. إذ أن ظهور الوسائل التقنية والآلية قد أدى إلى ظهور صناعة خاصة بالوسائل التعليمية منها ما يستخدم تحت إشراف المدرسة، ومنها ما يتاح لبعض الأطفال امتلاكه بوساطة الأسرة (كالفيديو وألعاب الأتاري وبعض اجهزة الحاسوب).

ويتلقى الطفل من خلالها ثقافة قد تكون موجهة ومنظمة موضوعة ضمن خطط مرسومة ومبرمجة من قبل الكبار، ومنها ما يتاح للطفل الحصول عليه من طرق أقل ما يقال عنها أنها (غير شرعية)، وهو ما يؤدي إلى نشوء مخاطر على شخصية الطفل ونموه وثقافته....

ثم أن لوسائل الاتصال الحديثة التي تمطر الناس (صغاراً وكباراً) ببرامجها المتنوعة الأغراض والأهداف، بخاصة منها تلك الوسائل الاعلامية (من إذاعة وتلفاز وسينما)، وهي وسائل أخذت تصل بين المجتمعات المختلفة مهما تباعدت أو اختلفت عن غيرها من حيث الخصائص الثقافية والنظم الاجتماعية والتربوية. فإنسان اليوم شاء أم أبى واقع بشكل أو بآخر تحت تأثير فيض من المعلومات والبرامج وأشكال من الدعاية التجارية والسياسية تمطره بها وسائل الاعلام تلك، وإن مخاطرها تتمثل بالسرعة التي تنتقل فيها من بقعة إلى أخرى حيث أنها قد صيّرت هذا الكون على اتساعه « كما يقول ماكلوهان » قرية صغيرة. كل ما يحكى في بيت منها ينتشر إلى سائر البيوت.

فثقافة الطفل تتأثر بما يصله عبر هذه الوسائل التي قلنا أنها متعددة الأغراض والأهداف، وتعبّر عن اتجاهات تختلف كثيراً أو قليلاً عن الاتجاهات والقيم السائدة في مجتمعه. أو أنها تعبّر أو تخدم مصالح جهات قد تتضارب مع مصلحة المجتمع الذي نعيش فيه كثيراً أو قليلاً، وهكذا فإن المتلقي طفلاً كان أم راشداً يقع تحت تأثير ضغوط ثقافية متضاربة متصارعة، وهي على أي حال توجه ثقافة لا تصلح لكل الأعمار في كل فترة زمنية من فترات بثها ونشر معلوماتها.

هذا إلى جانب أن وسائل الاتصال هذه من حيث تقدمها التقني تؤدي إلى نتائج خطيرة على الشخصية ، إن لم تتداركها المؤسسات القائمة على تثقيف الانسان بعامة والأطفال بخاصة. من ذلك ما تؤدي إليه عادةً من سلبية عند المتلقي، الذي يستسلم لها إذ لا أسهل من تشغيلها بوساطة إدارة مفتاح التشغيل أو الضغط على زر في آلة التحكم عن بعد والاستلقاء وترك الصور والعبارات تنساب وتشق طريقها إلى عقله دون وساطة، ودون أن يكون لديه الوقت أو المجال لمناقشة ما تبثه أو للقيام

بموقف منه. فيغدو فكر المتلقي ليس أكثر من مرآة تمر أمامها الصور وتأتيها المعلومات الجاهزة.. مما أفزع المهتمين بمستقبل الانسان فنبهوا إلى خطورة ذلك على عمليات الابداع وأساليب التفكير وليس غريباً ما تقوله عالمة مثل (ماريان دياموند) منبهة انسان هذا العصر: "استعمل دماغك وإلا فقدته"[٤].

وليس ذلك فحسب، فإن الحشد الهائل من البرامج التي تبثها وسائل الاعلام قد أدى إلى نشوء نوع من الخرافات لدى الأطفال وجماهير الناس الأخرى، وعمل على تبديل أساليب وطرائق أساسية اعتادها الناس، وخلق سلوكاً انعزالياً وأدى إلى نوع من الاستسلام لعوالم خيالية بعيدة عن الواقع، ناهيك عن تلك الآثار في العادات وفي المأكل والملبس والمسكن وفي اللغة..

---

(٤) . ماريان دياموند: عالمة أمريكية من أصل بريطاني عملت في جامعة كاليفورنيا، وهي الآن متفرغة للتدريس وأبحاث الدماغ، وهي ترى الدماغ البشري أكثر الكتل الفعالة غموضاً على ظهر الأرض.

الثقافة والثقافة الوظيفية

أولاً: مقدمة

ليس الحديث عن أدب الأطفال مقطوعاً عن الحديث عن الثقافة، بل أن ادب الأطفال هو بعض وسائط التثقيف في عصر كل ما فيه متفجر فاللحاق بركب التقدم العلمي والمعرفي ليس بالطريق السهل اليسير، فقد انطبعت الحياة المعاصرة بطابع يتميز بالتطور والدينامية والتغير المتسارع، وغدا مفهوم الثقافة معبراً عن مكتسبات البشرية مؤكداً الصلة بين قطبي النشاط الانساني العمل والفكر.

وما الثقافة إلا ذلك الكل المركب الذي يتمثل كل ما أنجزه الانسان من معارف ومخترعات وما تنطوي عليه حياته من معتقدات وأخلاق وتقاليد، وما يتميز به عن الكائنات الأخرى من قدرات وما لديه من عادات اكتسبها من حيث هو عضو في مجتمع.

فلم يعد مقبولاً التفريق بين ما يتصف به النشاط البشري من إبداع وابتكار وبين ما يعرف بالفنون والآداب والفلسفات التي تعبر عن الجانب الروحي في المجتمع، فالحضارة تستمد عناصر تعريفها من خلال الثقافة وقد جاء في القاموس السيوسيولوجي في مجال تعريف الحضارة:

"الحضارة هي النمو الثقافي، وتشير اللفظة، في الاستعمال المعتاد، إلى درجة عالية تماماً في سلم تطور الثقافة..."(٥)

فتثقيف الطفل يمر بهذه العناصر التي ينطوي عليها مفهوم الثقافة هذه العناصر التي يجدها على درجات متفاوتة من مجتمع إلى آخر وبصور وأشكال متنوعة، فكل ما أخرجه الانسان أو أنتجه يندرج في مفهوم الثقافة سواء كان ما أنتجه "كوخاً أم

(٥) منير مشابك موسى: المطول في علم الاجتماع . علم اجتماع التربية ص٣٤٩ .

قصراً، أم سيارة، أم صاروخاً، أم لباساً، أم اختراعاً، أم تفكيراً، أم سلوكاً، أم عادة، أم قيمة اجتماعية.. فليست الثقافة أدباً وفلسفة وفناً جميلاً فحسب، بل هي كل المعارف والفنون المتصلة بالنشاط الإنساني المنتج وبتطبيقات العلم والتكنولوجية.. وغير ذلك من مظاهر الحياة اليومية.."، كما يقول "جاك دورمسون".[٦]

ويواجه الطفل هذه المنجزات خلال مراحل نموه بتأثيرات متفاوتة وتتكون لديه شيئاً فشيئاً خبرات تنمو بنموه ويتفاعل معها من خلال عمليات التكيف مع الوسط الذي يعيش فيه ويكون ذلك مجالاً لظهور الفروق الفردية بين الأطفال تبعاً لدرجة تطور المجتمع من جهة وقدرات الطفل الشخصية من جهة أخرى. وليس ذلك فحسب بل أن لنوع التربية التي يتعرض لها الطفل وللنظام الاجتماعي والتربوي آثارها في ثقافة الطفل وشخصيته، وهذا ما يقودنا إلى معرفة العلاقة الكائنة بين الثقافة والتربية، بخاصة وإن أدب الأطفال قد عرف أولاً في الكتب المدرسية، وكان جزءاً من العملية التعليمية، وهذا ما نجده في الكتب المدرسية في مختلف الصفوف الابتدائية حتى اليوم. ففي ديوان "حديقة الأشعار المدرسية" للشاعر "عبد الكريم الحيدري"، وفي كتاب "الاستظهار المصور" الذي أصدره جميل سلطان، أنور سلطان وعبد الرحمن السفرجلاني عام ١٩٣٧. نقرأ نصوصاً شعرية موجهة للأطفال ولكن الاتجاه التعليمي يغلب عليها. وهذا لا يمنع من تصنيفها في باب أدب الأطفال، وإن كانت قد وضعت من وجهة نظر الكبار وتصورهم لعملية نمو الطفل وتهيئته لقبول نصوص أدبية أكثر تعقيداً وأشد قرباً من أدب الكبار...

فهذا جميل سلطان يحث الأطفال على الاجتهاد وحب الأدب والوطن والأمة قائلاً في قصيدته "أغنية الصغير"[٧]

أنا في سن الصغر — لست أعرف الضجر
همتي فوق البشر واجتهادي — لا يلين بتّ أهوى الأدبا
وأحب أنا في سن الصبا العربا — خير قوم أكرمين
أبذل الروح لمن — علموني في الزمن
ولمن يهوى الوطن — بين أضلاعي حنين

فكأن هدف مثل هذه النصوص هو تأهيل القارئ، وهو هنا تلميذ المدرسة الابتدائية، أخلاقياً ووطنياً...

---

(٦) المجلة الاجتماعية القومية . المجلد ١٤ . العدد ٣ . القاهرة.

(٧) عيسى فتوح: أدب الاطفال في سورية . الموقف الأدبي . العدد ٩٥ . ص٤٤ .

ثانياً ـ الثقافة والتربية:

لا شك في أن ظهور أدب الطفولة ارتبط منذ البداية بالكتاب المدرسي، وأن علاقته بالتعليم المدرسي علاقة وثيقة، فانتشار هذا النوع من الأدب لم يكن ليوجد لولا زيادة عدد الأطفال على مقاعد الدراسة، فنشأ هذا الأدب ليكون جزءاً من عملية تثقيف الطفل، فالمجتمعات المختلفة تهدف من عملية تثقيف الصغار إلى الحفاظ على وجودها وتماسكها لأن الثقافة هي وسيلة الانسان إلى البقاء والتطور، فصغار البشر يشتركون في مجالات العمل والأنشطة الاجتماعية المختلفة وبذلك ينتقل إليهم تراث الجماعة التي ينتسبون إليها. وكان يتم ذلك في البداية من خلال الكبار في الأسرة أو القبيلة عندما يشارك الطفل في النشاط الاقتصادي وفي الحفلات والأعياد ويمارس الطقوس المختلفة وكانت الوسيلة في ذلك هي التقليد .ولكن الثقافة لم تستمر طقوساً وعادات وأنشطة اقتصادية محدودة ولكنها اتسعت وزادت كماً ونوعاً وتنوعت مظاهرها وتعددت فلم يعد بإمكان الأسرة أو الجهود العادية للقبيلة أو العشيرة نقلها للأجيال الصاعدة. كما أن تنوع النشاط الاقتصادي والاجتماعي للأسرة قد قلل من دورها في تأدية هذه الوظيفة التربوية الهامة والضرورية،ففقدت عبر تاريخ التطور البشري وتشابك العلاقات الاجتماعية والثقافية الكثير من وظائفها، وأصبح دورها من حيث تأدية الوظيفة التربوية ثانوياً أو هامشياً. وحلت بدلاً منها مؤسسات بديلة تنهض بهذا الدور التثقيفي، وبذلك تعاظمت العلاقة بين التربية والثقافة، إذ أنيط بالمؤسسات التربوية الوظيفة التثقيفية ومهمة نقل التراث من جيل إلى آخر، دون أن تتنازل الأسرة نهائياً عن هذه الوظيفة.

وأخذت عملية التثقيف تأخذ مساراً أكثر تنظيماً وتطورت مستفيدة من العلم والتقنية فتعددت الطرائق وتنوعت الوسائل كما تجددت المناهج وتطور المحتوى التعليمي لتكون التربية قادرة في وظيفتها التثقيفية على مجاراة التقدم الهائل الذي شهدته البشرية في مجالات الحياة كافة.

ولكن الثقافة، وإن بدت أنها على حال من الثبات النسبي ردحاً من الزمن وخلال عصور متلاحقة، إلا أنها كانت عرضة للتغير، فقد حدثت وتحدث بإستمرار تغيرات في الأنماط الثقافية فتختفي بعض المظاهر بالتدريج، وتتجدد بدلاً منها مظاهر أخرى أو تضاف إليها.

ولكن هذا التغير لم يبق على حاله من حيث سرعته وتعميمه في المجتمع الواحد أو في المجتمعات المختلفة. فالاكتشافات العلمية والتطورات التقنية وتسارعها بل تفجرها

تحدث بإستمرار تغيرات على المستوى الثقافي والاجتماعي. وهذا التغير الذي يحدث علىمستوى الأفكار قد يخلق عند الكبار نوعاً من رد الفعل الذي يتميز بالتشبث بأفكار قديمة وبأنماط سلوكية لا تتلائم مع التغيرات الحاصلة، وهذا ما يسوغ للأدب بعامة الذي يتيسر الإتصال به خارج المؤسسات التربوية النظامية من خلال وسائط الاتصال المختلفة والمتعددة أن يؤدي دوراً في عملية التكيف مع المتغيرات الجديدة. ولعل رياح التغيير تسبقها في كثير من الأحيان عمليات أولية تبشربها وسائط تثقيفية تنقل بعض وجوه أو ملامح التغيير من مجتمع إلى آخر عبر الكلمة الجميلة والعبارات الطرية.. (دون أن يعني ذلك أن الأدب يؤدي دوراً تقدمياً يتماشى مع التغير الثقافي).

فالعملية التثقيفية سواء قامت بها مؤسسات تربوية نظامية أو وسائط اتصال متعددة الأهداف والمصادر لا يمكن لها إلا أن تتأثر بالانتشار الثقافي الذي أصبحت وسائله على درجة كبيرة من التطور والقدرة عبر أشكال مختلفة من الاتصال، عبر الأقمار الصناعية ومن خلال الدعايات التجارية والإذاعات المرئية والسمعية الموجهة عبر القارات. ولا يمكن أن نستثني المطبوعة من هذه الأشكال وإن بدا دورها في معظم الأحيان خجولاً وبسيطاً إزاء التقدم التكنلوجي المذهل.

وقد أدركت المجتمعات المختلفة مخاطر التغيرات المتسارعة على المستويات العلمية التكنلوجية والاقتصادية وما تحدثه علىالمستوى الثقافي،ويحملها هذا على السعي بإستمرار إلى العمل على تجديد أنظمتها التربوية ووسائل الاتصال لديها للانطلاق خارج ما صار عتيقاً بالياً لا يتلائم مع التغيرات الحاصلة، وكسر الجمود لتحريك الثقافة في المجتمع. وتعيد الجماعات البشرية النظر على درجات متفاوتة بتراثها الثقافي مزيحة عن جسده ما تراكم داخله وحوله من أنماط سلوكية أو أفكار ومعتقدات عفا عليها الزمن. وهكذا فالتربية تدفع بثقافة المجتمع لتكون أكثر تلاؤماً مع التطلعات المستقبلية ويؤدي الفعل التربوي وظيفته التي تتميز بحركتها بين بعدين متكاملين(التراث والنظرة للمستقبل).

وتتجلى هنا أهمية النصوص الأدبية ؛باعتبار أنهما في بعض من وجوه انتاجها وتلقيها ذات هدف تعليمي، وبعد تربوي، ومظهر ثقافي وفي أنها ذات خاصة ثقافية وظيفية تسهم في عملية التوجه بالعملية التربوية من كونها تربية أكاديمية ـ كما درجت عليه النظم التربوية التقليدية قروناً متتالية ـ إلى أن تكون تربية وظيفية.

ثالثاً التربية الأكاديمية والتربية الوظيفية:

كيلا يكون الحديث عن الثقافة الوظيفية في أدب الأطفال عموماً، يغيب في الأمثلة ويفصله عن تسلسل العرض الاندماج في النصوص التوضيحية والانسياق وراء أهداف أخرى،وإن كانت ذات فائدة. فإنه لمن باب أولى أن نحدد بعض الخصائص التي تتميز بها التربية الوظيفية عن تلك النظم والطرق التي كانت سائدة في أيام لم تكن للتربية فيها من أهداف تسهم في عملية التغير الثقافي والبناء الاجتماعي والاقتصادي بسبب من محدودية المعارف والمكتشفات والاختراعات التكنلوجية.

فقد كان اهتمام النظم التربوية منصباً على إغناء فكر الطفل وذهنه بالمعلومات والمعارف وحشدها، دون أي اعتبار لتنمية قدراته على توظيف هذه المعارف، والاستفادة منها في تحسين ظروف تكيفه، والإسهام في عمليات النهوض الاجتماعي والاقتصادي.وليس أدل على حالة المتعلمين بتلك الطرق والأساليب القديمة من تلك الطرفة التي تروى عن الحوار الذي دار بين أحد التلاميذ ومعلمه حين انطلقت من موقد الحطب شرارة من ناره، وحين أراد التلميذ تنبيه معلمه إلى ضرورة ابتعاده عن الشرارة التي ستسقط على طربوشه، متبعاً الاسلوب الذي تدرب عليه والذي يتقيد بالكلمات التي تعلمهاا وبالأسلوب الذي يريده المعلم، ولكن ذلك أخذ منه وقتاً لم يحم المعلم من وقوع النار على طربوشه وإحداث حرق به.

هذاالنوع من التربية والتثقيف الذي لا ينتج إلا شكلاً من أشكال الثقافة اللفظية لا ينسجم مع تطورات الحياة المعاصرة ومتغيراتها، وهو بالتالي يؤدي إلى نوع من أنواع المراوحة في المكان في عالم يتغير بسرعة هائلة.

هذا النوع من التثقيف الذي لا يعني سوى بكمّ المعلومات وما ينتج من ذاكرة ببغاوية تردد ما تحفظ أو يذكر أمامها، دونما قدرة على الفهم والاستيعاب لا يسمن ولا يغني، ولا يتلائم مع طبيعة الحياة وحاجات المتعلم إلى النمو وهو لا يرى في الانسان سوى الذاكرة من قدراته في أحسن الأحوال.

وقد عرف تاريخ الأدب واللغة نصوصا وضعها مؤلفوها لتكون دروساً يتلقاها المتعلمون ويحفظونها على ظهر قلب حفظا الياً.، وقد صاغ هؤلاء كثيراً من قواعد اللغة في أبيات من النظم الذي تنقصه الطلاوة والإثارة والتأثير، ولا يؤدي إلى نتائج من إشباع رغبة أو تلبية حاجة.

فالعصر وطبيعة التطور يقتضيان تعلماً يساعد صاحبه على التفكير والبحث وحب

الاكتشاف و التنقيب والتعبير عن أمانيه ورغباته بلغته الشخصية، وذلك بأن يتلقى تثقيفاً يعينه على الإمساك بالوسائل والطرائق التي تمكنه من مواصلة تعلمه ذاتياً، وتوظيف ثقافته في تلبية ما يتطلبه نموه وتكيفه، ولا يمكن لذلك أن يتحقق بوساطة حقن العقل بالمعارف وضخ المعلومات الجاهزة إليه.

فالعصر عصر العلم والتكنلوجية وهو عصر متفجر معارفه ذات خصائص دينامية، المعارف التي كانت من مقدسات الماضي والتي كان يعتقد أنها مطلقة فقدت مصداقيتها لتحل بدلاً منها مقاربات تؤكد نسبية الأشياء.. وتشير حركة الحياة إلى أن كل شيء في تغير وأن عملية تناسل المعارف تسير بسرعة مذهلة. فلا قدرة لعمليات التلقين على متابعة الجديد والتزويد بالمعارف الجاهزة إلا في مجالات محددة من حيث الكم والكيف.

كما أن طرائق التربية وأساليب التثقيف القديمة لم تعد قادرة على إكساب المتعلم الدقة في التعبير مهما امتلك من قدرات على تنميق الكلام وزخرفته. أما ما يأتيهم من معرفة بطرق التلقين، فإنه يعوزها الثقة بها، لأن الاكتساب الذي لا يتم عن طريق الاكتشاف والذي لا يرتبط بحاجات واهتمامات الانسان ولا يلبي مطالب النمو لديه يظل مصدراً للشك حتى أن ما يصدر عن الذاكرة لا يمتلك الحدود الدنيا مع التعين،في غالب الأحوال.

وقد بينت بعض الدراسات والأبحاث ملامح الشخصية التي ينتجها هذا النمط من التربية والتثقيف على أنها تتصف بحب الوجاهة والرغبة في استعراض المحفوظات والمعلومات وتعرضها عرضاً متواضعاً، قد تمت إلى اهتمامنا أو لا تمت . وأمثلة ذلك كثيرة نجدها فيما يعرض من نتاج أدبي شعراً أو قصة أو رواية . ومن ملامح هكذا شخصية أنها تضحي ،على الأغلب ،بالمضمون والمحتوى المفيد والمقتضب بإستخدام الجمل الشعرية الرنانة وتميل بشكل عام نحو الكلام المنمق والمماحكات اللفظية". (٨)

أما التربية الوظيفية فهي في تلك التي تعنى بطرائق البحث والتفكير أكثر من امتلاك المعارف المجردة، وتهدف إلى تكوين ثقافة قوامها التفكير المنطقي الذي يحفز صاحبه على تنظيم أفكاره وتسلسلها، وفهمها واستيعابها،وتعمل على إنماء الشك النقدي والمنهجي عند المتعلم فليس كل ما يقرأ جديراً بأن يؤخذ على أنه حقيقة لا مجال للشك فيها. وبذلك فأنها تملك المتعلم القدرة على التخلص من الخطأ حين اكتشافه، وتقصي أساليب العناد والتشبث بالرأي حتى بعد أكتشاف الخلل فيه،

---

(٨) عزت حجازي:الشباب العربي والمشكلات التي يواجهها . سلسلة عالم المعرفة . الكويت . ٦ .

وبذلك تيسر للمرء السبيل لأن يكون سيد أفكاره لا عبد ما يملى عليه. فهو مولد هذه الأفكار ومكتشفها، وهو الذي يجتهد باستمرار للحصول على المزيد منها، وهو الذي يجتهد باسمترار للحصول على المزيد منها، ولا ينتظر أن تنزل عليه بقانون أو في كتاب. من هذا لا يكون للتربية التي تهتم بإصدار الأوامر وتقديم المواعظ والارشادات أي دور من هذا المجال. فوظيفة الثقافة ووظيفة التربية تتجلى في تعويد المتعلم على أساليب التفكير (أن يتعلم كيف يتعلم) وأن يشكل ذلك إتجاهاً من أتجاهاته.

وأهم ما يميز التربية الوظيفية التي تتلائم مع طبيعة المتغيرات الثقافية والاجتماعية أنها عندما تساعد المتعلم على القراءة والكتابة وتملكه مبادئ الرياضيات، فإنها لا تساعده على تعلم هذه المواد لذاتها، لأن هدفها لا يقتصر على تعليم القراءة والحساب ولكن القراءة والكتاب ومبادئ الرياضيات تكون وسائط للتعلم الذي تستمر حاجة الإنسان إليه طيلة حياته.

فالأمثال والحكم والأقوال القديمة التي كانت تغطى نصوصها معظم الكتب المدرسية بخاصة في تلك المواد المتعلقة بالأدب ليست هي الثقافة المقصودة، وكذلك فالقصائد المطولة وعمليات تعليم التنقيب عن معاني الكلمات والألفاظ وتحليل العبارات، لا تصلح لأن تكون منطلقات وركائز لتعلم وظيفي لأن هذا لا يكون إلا من خلال ثقافة شاملة تتصف بما يصف به (هيتشر) عملية الإنماء الثقافي بقوله:

"الإنماء الثقافي فرض واجب على إنسان اليوم. وينبغي أن تحدد الثقافة على أساس كل خبرة تؤهل الانسان لحياة إنسانية حقيقية، تحرره وتجعله قادراً على تغيير الإطار الاجتماعي الذي يعيش فيه".(٩)

وبعد، ما سمات الثقافة الوظيفية المطلوبة في عمليات تنشئة وتثقيف الطفل؟

بعد أن استعرضنا بعض خصائص العصر الذي نعيش فيه ومتطلبات التكيف الناجع في الاسهام في النمو الثقافي والاجتماعي للطفل العربي والحاجة التي تفترضها توجهات المجتمع العربي في اعداد الشخصية الفاعلة القادرة على الأسهام في تنمية الحضارة العالمية والكشف عن المضامين الانسانية في التراث العربي، نلخص فيما يلي أهم سمات الثقافة الوظيفية المطلوبة للطفل العربي:

١ . استجابتها لنمو الطفل وتلبيتها لحاجاته في التعبير والاطلاع والابداع، وتوافقها مع خصائص الطفولة وطبيعتها.

---

(٩) أحمد صيداوي: الانماء التربوي، ص١٩٣ . معهد الانماء العربي . بيروت . ١٩٧٨ .

٢ . قدرتها على الإسهام في تنشئة الطفل على نمو يستطيع معه أن يعيش عضواً فاعلاً في المجتمع، وبكفاية تفسح له المجال للتكيف مع الحياة الاجتماعية ومطالب التطور والتغير.

٣ . انطلاقها من مفهوم للتربية يتجاوز النظرة، التي كانت ترى من التربية على أنها عملية تندرج في باب الخدمات إلى كونها مشروعاً اقتصادياً مستقبلياً من خلال عملية تنموية شاملة ترى في الإنسان غاية أية تنميه. كونه محور كل عملية إنتاجية وغايتها.

٤ . تأخذ بيد الطفل ليعي الفساد والتخلف ويقف منهما موقفاً فاعلاً في الانفصال عنهما ومناضلتهما، وإحلال قيم العروبة المتمثلة في التقدم والاتجاهات الانسانية الإيجابية باعتبارها في رأس القيم التي تعنى بها.

٥ . قدرتها على تحقيق حياة متقدمة وتقديم العون للنمو السليم. أي أن هذه الثقافة التي لها نطمح هي (ثقافة شاملة تنجزها تربية تتميز باندماجها واتصالها بالحياة اتصالاً وثيقاً بما فيها من عمل وإنتاج، وراحة وترويح، وتطلعات روحية وفلسفية).(١٠)

إن مشروع تثقيف الطفل يتطلب الاستفادة من المقاربات التي أنجزتها تلك المقاربات التي أفسحت أرحب المجالات لتعامل الراشدين مع الأطفال بفاعلية أجدى ونفع أعم. وقد أسهمت هذه المقاربات في توظيف مقاربات أخرى من علوم مختلفة وذلك من خلال منظور كلي شامل ذي أبعاد مستقبلية يعطي للتربية بعامة، وللتربية المدرسية بخاصة دورها الذي يدعو له المؤمنون بقدرة التربية على إنقاذ العالم، أو كما يقول (فيرير):

"المدرسة الفعالة التي تفعل في الطفولة، هي القمينة وليس الاقتصاد والسياسة . أن تنقذ العالم."

رابعاً ـ التربية والأدب:

بعد انتشار التعليم وتعميمه، واتجاه العالم المعاصر إلى تأسيس التعليم الإلزامي ومد فترته ليتسنى للمتعلم الذي يخرج من المدرسة في نهاية مرحلة الإلزام أن يحافظ على قدرته في القراءة والكتابة بخاصة، والاستفادة من ذلك في مواصلة التعليم الذاتي، ونتج عن ذلك ظهور أدب ذي جمهور عريض كما أن (طبيعة هذا الجمهور قد اختلفت، فقد دخلت الجماهير، حضرية كانت أم ريفية .، في دائرة الكتاب، فكان

(١٠) أحمد صيداوي: م.س ص١٩٣ .

على البنى التربوية في كل بلد أن تواجه طلبات القراء، الجدد بإنتاج مادة للقراءة، كتب مطالعة، مؤلفات أدبية.)[11] كل هذا أسهم في تهيئة الجو لأن تكون العلاقة بين التربية والأدب، علاقة تفاعل فحيث تسهم التربية في إنتاج قراء جدد كذلك فإن التربية تجد في النصوص الأدبية مادة أو وسيلة لها في بلوغ أهدافها.

وقد أسهم تطور التربية واتجاهها إلى مد يد العون لتربية مختلف جوانب الشخصية بخاصة فيما يتعلق منها بتنمية الخيال وتربية العاطفة، مما أدى إلى الاهتمام بالأدب بأجناس مختلفة والاهتمام بالفنون الجميلة من رسم ونحت وتصوير ومسرح وغناء..

وفي مجال الأدب فقد توجهت الأنظار بشكل خاص نحوالقصة والشعر والمسرح لما لها من أثر في تنمية الذوق السليم وفي الكشف عن مواهب المتعلمين وأحوالهم العاطفية والخلقية وما يمرون به من أزمات عاطفية،هذا إلى أن بعض المقاييس النفسية تستخدم القصة للكشف عن خبرات المفحوص واتجاهاته حيث يطلب إليه مثلاً إكمال قصة تعرض عليه، كما في المثال التالي:

قال القمر: "كنت ذات ليلة أسبح خلال السحب الثلجية المتراكمة وكانت أشعتي تحاول آختراق حجاب السحب لترى ما يحدث في الأرض. وفجأة انحسرت هذه السحب أمامي و...

إلى هنا يقف المثير الذي قدمته القصة. أما الاستجابات التي صدرت عن المفحوصين فكانت:

رأى القمر السفينة تغرق.

تحدث القمر مع العملاق الذي يسكن في القلعة المسحورة.

اهتم القمر بمؤاساة رجل مريض طريح الفراش.

تحدث القمر مع تلميذ لا يستطيع أداء واجبه المدرسي.

وقد كان الهدف من النص الأدبي في كتب التعليم المدرسي ذا نزعة تعليمية أخلاقية وقد أنتشر منها في البداية، وما يزال،تلك القصص والحكايات المعروفة باسم (حكايات الحيوان)، التي تشكل قاسماً مشتركاً لكتب القراءة في بلدان متعددة ومن ثقافات مختلفة.

كتب (مونيتني) يقول:

---

(١١) دونيز اسكاربيك: أدب الطفولة والشباب . ترجمة نجيب غزاوي . ص١٢١ . وزارة الثقافة . ١٩٨٨

"إن أول ميل نشأ لدي للكتب إنما جاءني من التلذذ بقراءة حكايات الحيوان في كتاب (التحويل)، فقد كنت في حوالي الثانية من عمري أتهرب من كل متعة أخرى لأقرأ هذه القصص، لقد كان أسهل الكتب التي عرفتها وأكثرها انسجاماً مع صغر سني". (١٢)

ومن باب التذكير فقد نذكر حكايات (كليلة ودمنة) التي ما تزال مصدراً ثرياً للتعليم وللإمتاع والإدهاش عند الأطفال والكبار.

وقد تنوعت القصص التي تقدم للأطفال في نطاق الكتب المدرسية من حكايات الحيوان إلى القصص المصورة إلى الحكايات المقتبسة من القصص الشعبي أو تلك المعدلة عن قصص أعدت للكبار، أو مترجمة أو مقتبسة عن لغات أجنبية.

أما الشعر فإن تأثيره لا يضاهى في توجهه نحو الشعور ولما يمتاز به من إيقاع واتصاله بالنشيد والغناء. وكذلك للمسرح أهميته في إيقاظ الوعي ونمو المعرفة..

فالأدب والتربية تفاعلا وكان نتيجة تفاعلهما تأسيس أدب موجه للأطفال خارج نطاق الكتب المدرسية.

وقد لخص (جميل سلطان) في وقت مبكر نسبياً سمات أدب الأطفال الذي كان محصوراً في الكتب المدرسية بصورة رئيسية وإن كان له بعض الانتشار خارج ذلك على محدودية عدد القراء من الأطفال في حينه بسبب من محدودية عدد المدارس آنذاك، وكون الأكثرية من تلاميذها لا يعرفون كتاباً غير الكتاب المدرسي:

"ولا بد في أدب الأطفال من توخي التوجيه إلى الجمال والخير والإحسان واستشعار الفضائل الإنسانية الكاملة، إلى جانب ما تستهدفه من الترفيه والمتعة النفسية، لأننا نريد أن نستفيد من كل أداة تؤثر في تهذيب أخلاق الطفولة، وما أعتقد أن في يد المربى أكبر من هذه الأداة وأنفع، وكم يكون العمل موفقاً حينما تورد القصة على الطفل، أو تسمعه قطعة من الشعر تستثير اهتمامه،وتوقظ مشاعره، فتغمر نفسه وقلبه بشعور الغبطة والفرح، ثم تقوده إلى خصلة كريمة من خصال الخير، وتجنبه موطناً سيئاً من مواطن الزلل، لاعن طريق الأمر بالفعل أو الكف عنه، بل عن طريق تشوقه إليه أو ترفعه عنه، حتى تصبح الرغبة في الإقدام والإحجام طبعاً مكتسباً إلى جانب الطباع المغروسة، ومتى تهيأ لنا أن يوحد الأدب الذي يصنع مثل

---

(١٢) دونيز اسكاربيك: م.س ص١٧ .

هذا الصنيع فلسوف نستبشر بمستقبل أفضل وأكمل، ولسوف نقول لأدبائنا من بعد: إنكم صنعتم لأمتكم صنيعاً يذكر في سجل الخلود."[١٣]

فاتصال الإنسان بالأدب إنما قد بدأ، إذاً، في المدرسة من خلال الكتب المدرسية أولاً، ومن خلال توجيه المعلمين لتلاميذهم نحو كتب أخرى يطلعون من خلالها على الأدب وذلك ضمن خطط مدروسة على الأغلب كجزء من نشاط لا صفي يقوم به المتعلّم، أو كتوجيه عام يهدف إلى تكوين اتجاهات إيجابية نحو الكتاب والمطالعة بعامة ونحو المادة الأدبية بخاصة،وهكذا يتعرف الطفل على النص القصصي والشعري والمسرحي ويبدأ بعملية التمييز بين هذه النصوص أولاً بقصد التعلم من خلالها، وتنشأ بينه وبينها علاقة تتعدى البرامج والمناهج المدرسية ثانياً.

وكانت القصة عموماً الجنس الأدبي الأكثر رواجاً فيما يطالعه الطفل خارج المدرسة وذلك لعدة أسباب منهاما يتعلق بطبيعة الطفل ونمو قدرة التخيل لديه، ومنها ما يتعلق بالقصة نفسها وما تتضمنه من عنصر الجاذبية والتشويق وسهولة الفهم والاستيعاب، ويلاحظ أن الأطفال منذ سنوات مبكرة من حياتهم يقبلون على الإصغاء لسرد الحكاية والقصة وأنهم يبدؤون بقراءتها في بدايات تعلمهم القراءة.

ثم أن الأطفال يقبلون على القصيدة، أو المقطوعة الشعرية بخاصة عندما تقدم لهم كنشيد، أو عندما يسمعونهما، أو ينشدونهما بمرافقة آلة من الآلات الموسيقية. وكلما تقدموا في السن وكلما نمت لديهم قدراتهم على القراءة والربط والتحليل والتركيب، ونمت مفرداتهم ولغتهم يزداد إقبالهم على الشعر.

أما في مجال قراءة المسرحيات فإن ميول الأطفال على الأغلب نحو ذلك تظهر في مرحلة لاحقة، وقد شجعهم على ذلك رؤية بعض المسرحيات المخصصة لمن هم في سن الطفولة.

وتظهر على كل حال فروق فردية بين الأطفال من حيث إقبالهم على القصة والقصيدة والمسرحية بخاصة كلما نمت خبراتهم وازدادت قدراتهم على القراءة ونمت ثقافتهم.

---

(١٣) جميل سلطان: أدب الأطفال . مجلة المعلم العربي . تشرين الثاني وكانون الأول ١٩٥٦ .

(١٤) أدونيز اسكاربيك : م.س . ١٥٧ .

- ٢ -
أدب الأطفال

أدب الأطفال رغماً عن عمره القصير فقد صنف في بعض الأحيان على أنه هامشي و فرعي لأنه موجه إلى قراء، يتوزعون على شريحة عمرية قصيرة. فلا يبقى الطفل على مستوى واحد من حيث قدرته على القراءة والفهم والاستيعاب، كما أن اهتماماته وحاجاته تتغير من فترة زمنية لأخرى. فالطفولة التي تمتد على مدى اثني عشر عاماً تقريباً لا تثبت حاجاتها واهتماماتها على مستوى واحد من الأدب إن من حيث المضمون والأفكار التي ينطوي عليها النص الأدبي أم من حيث الأسلوب والمستوى الفني واللغة. كما أنه إضافة لتوزعه إلى مستويات تتناسب مع فئات الأعمار التى تنتسب لمرحلة الطفولة فإنه يتنوع وفق رؤية الراشد عن قارئه الطفل. وإن كان يرى بعض النقاد والمهتمين أن يقدم للأطفال المضامين نفسها التي تقدم للراشدين ولكن عرضها يجب أن يقدم وفقاً لمستوى فهمهم. (١٥)

على أي حال فان أدب الأطفال لا يتميز عن أدب الكبار باللغة و الأسلوب فحسب ولكن من حيث المضمون وأيضاً فإن له أهدافه الخاصة به لأن الوظيفة التربوية فيه يجب أن تتبوأ على الاهداف الأخرى كون الطفولة هي مرحلة تكوين ونمو وليست مرحلة مستقرة من حيث درجة نضج الجوانب الانفعالية ومستوى نمو القدرات العقلية، وتكون الاتجاهات والقيم.

ولكي تتضح الثقافة الوظيفية في أدب الأطفال فإنه من المفيد أن نلقي أضواء على هذا الأدب من حيث مداخله أولاً ومن حيث نمو مهارة القراءة ودور أدب الأطفال وأثره في ذلك. وبعد ذلك نتطرق للحديث عن مسرح الأطفال والثقافة الوظيفية التي يجب أن يهدف إلى تكونيها من أجل طفولة ينبغي أن يعيشها صاحبها لا أن نضحي

(١٥) أدونيز اسكاربيك: م.س. ص١٥٧ .

بها من أجل المراحل التالية..

مداخل أدب الأطفال

ينظر لأدب الأطفال من زوايا مختلفة تكمل كل منها الزوايا الأخرى والقصد من ذلك الإحاطة بأهم خصائص هذا الأدب واتجاهاته. ومداخل أدب الأطفال التي سنلقي عليها بعض الضوء، هي:

١ . المدخل التاريخي

٢ . المدخل النفسي والاجتماعي

٣ . المدخل التقني

المدخل التاريخي لأدب الأطفال

يعود العهد بأدب الأطفال إلى تلك الفترة التي كان يقدم في أثنائها للأطفال نصوصاً تندرج في باب ما يمكن أن يسمى بالأدب التعليمي[١٥] ذلك الأدب الذي كان له مظهران، المظهر الأول أدب تربوي ذو فائدة مباشرة (تتعلق بتعلم القراءة والكتابة) والمظهر الثاني أدب أخلاقي أو ديني يقدم في قصص على لسان الحيوان وحكايات على ألسنة القديسين والأولياء والأمثال والمواعظ..

أما ما نطلق عليه اليوم اسم أدب الأطفال فقد تأخر ظهوره، وإن عرف تاريخ الأدب في هذا المجال أصنافاً من الأدب الذي اعترف للطفل بحق القيام بقراءته للتسلية أو للتزود منه بالمعلومات إضافة عما كان يقدم إليه في الكتب المدرسية..

ولكن تقدم البحث التربوي والنفسي وتزايد المعرفة بالطفولة من حيث أنها مرحلة لها خصوصيتها وطبيعتها المميزة عن مراحل النمو الأخرى نتج عنه اتجاه في مجال الأدب، وتثقيف الطفل يرى في أن ما يقدم للطفل ينبغي له أن يتناسب مع المستوى النمائي الذي يكون قد بلغه وأن يؤدي إلى أهداف تتعلق بمتطلبات نموه وحاجاته واهتماماته إضافة لتوافر عنصر التشويق والجاذبية فيه. وانعكس ذلك على الكتب المدرسية أيضاً التي أخذت تتخير لنفسها من النتاج الأدبي المتوافر نصوصاً من القصة والشعر والمسرح تتناسب مع خبرات المتعلمين وتؤدي إلى تحقيق أهداف تربوية من مستويات مختلفة. وكان ذلك يتم أحياناً عن طريق تبسيط نصوص أدبية مما هو موجود في كتب الأدب بعامة لتتناسب لغتها مع مستوى نضج المتعلمين في هذا المجال وكفاياتهم اللغوية والمعرفية.

ولكن الأطفال خارج ما ذكر آنفاً كانوا بعيدين عن عالم الأدب، بخاصة منه

الأدب الشفوي المتداول أو ما يعرف بالأدب الشعبي (قصص، أمثال، حكم، شعر....) ويشتهر في هذا المجال الأدب الذي يتلقاه الطفل من خلال قصص الفروسية والأحداث التاريخية، وبعض الحكايات الخيالية. مَنْ منّا لا يتذكر على سبيل المثال (قصص الجنيّات، والغول، والشاطر حسن وأمثالها)، إضافة للألعاب التي تتخذ أحياناً أشكالاً مسرحية من حيث الحوار الذي يتم في أثناء تأدية اللعبة والحركات والإيماءات المتعلقة بها. ولعل مشهد الحكواتي ما يزال في ذاكرة الراشدين إلى أيامنا هذه حيث كان الكبار يصطحبون أحياناً أطفالهم إلى حيث يستمعون إلى حكايات (الزير سالم، وعنترة، وسيرة بني هلال) وقد كانت لغته قريبة إلى الأطفال يفهمونها، وربما يقوم بعضهم بإعادة الحكاية أمام أقرانه أو إخوته وأخواته من الأطفال والشباب.

إلا أن تطور المعارف البشرية ونمو النزعة الديمقراطية والتقدم في مجال حقوق الإنسان بعامة وحقوق الطفل بخاصة. قد أدى إلى ظهور أدب موجه للأطفال لا يعني بالأمور التربوية والأخلاقية فحسب وإنما بالنواحي الجمالية والترفيهية أيضاً. فلم يعد الطفل (موضوع تربية أو تعليم فقط، بل صار له الحق أن يحلم ويضحك). وهكذا عرفت الآداب الحديثة أشكالاً أدبية أعدت منذ البداية أو أبدعها كتابها من الراشدين لتكون مادة أدبية يطلع عليها الأطفال ويقرؤونها.. واهتم بذلك لا الأدباء فحسب بل شاركهم في ذلك مربون واختصاصيون من اتجاهات واختصاصات مختلفة. وقد أسهم الكتاب من القاصين والشعراء والروائيين والمسرحيين في ذلك، منهم من أبدع في هذا الباب إضافة لما أنتجه من أدب للكبار، ومنهم من تخصص في الكتابة للأطفال دون غيرهم..

ما ينطبق على أدب الأطفال في جميع أنحاء العالم من الناحية التاريخية ينطبق على أدب الأطفال في أدبنا العربي.. ومن المفيد أن نلقي نظرة خاصة على تطور هذا الأدب فيما يلي:

البدايات في الأدب العربي بالنسبة لأدب الأطفال ليست حديثة، ولكنها تمتد إلى عهد أبعد من زماننا هذا فجذوره تنهل من معين الأدب العربي بعامة، ومن التراث الشفوي والشعبي..

"تعود بداية أدب الأطفال في الزمان إلى أول الزمان، وذلك منذ أن تكاملت قدرة الانسان على التعبير، وأخذت الأمومة والطفولة البشرية تسلكان طريقهما المرسوم نحو تكوين أسر وجماعات. ثم انحدر في مسيرته مع الأيام على الدرب الطويل من عمر الانسان، تحكيه الأمهات والجدات ميراثاً يتلقفه وجدان الصغار،

وتهفو إليه آذانهم استماعاً وترويجاً وتسلية. واستوعبه ضمير الجماعة ليحقق الكثير من مواقفه، ويرسم جانباً كبيراً من عواطفه ومعارفه. واحتفظت به ذاكرة الزمن ليسهم بنصيب كبير في نقل تراث البشرية وخبراتها من جيل إلى جيل. وخلال التطور الإنساني المبكر كانت القصص وهي مادة الحياة . سواء رويت للكبار أم للصغار . وسيلة لتقاسم الخبرة والتعلم، ولوناً رفيعاً من ألوان الامتاع والمؤانسة."(١٦)

ما يندرج في باب اهتمام الأطفال أو تعرّف الأطفال بالأدب ليس بالحدث القريب العهد وكنّا قد ذكرنا من قبل اتصال الطفل بالأدب من خلال الأدب الشفوي (شعر، وقصة وغيرهما) ذلك الأدب الذي تناقلته الأجيال جيلاً فجيل، أو الأدب المكتوب، بخاصة منه الأدب الشعبي والذي كان يشّكل بالنسبة للأطفال مصدر امتاع وتربية وتثقيف.

ولكن ذلك لا يعني أن أدب الأطفال كان معروفاً في ذلك العهد البعيد، لأن القدماء لم يولوا الطفولة الاهتمام الذي تستحقه، بل عدّوا الطفولة محض مرحلة يمر بها الكائن البشري مروراً عابراً ليغدو راشداً فالطفولة إنما هي مرحلة من أجل مرحلة الرشد فعلى الطفل أن يتعود في جلوسه أن يجلس مجلس الرجال، ويتصرف كما يتصرفون، ويتقيد بالقواعد والأوامر الأخلاقية والاجتماعية التي درج عليها الكبار، فهو باختصار (راشد صغير) عليه ما على الرجال من واجبات تختلف من حيث كمها لا من حيث نوعها.

لذلك لم يُعرف في تاريخ الأدب أدباء خصّوا الأطفال بنتاجهم، ولم يرتبط اسم أي أديب بأدب الأطفال.. ولكنها على أي حال كانت مما يؤخذ عن الأساطير والخرافات وحكايات الجن والحيوان وقصص التاريخ والحرب والبطولات ـ كما مر سابقاً ـ إلى غير ذلك مما ابتكره الراشدون خلال تاريخ الانسان الطويل..

وهكذا فقد عاش (أدب الأطفال عالة على التراث الأدبي للكبار، يتخذ منه مصادر له يغترف منها المادة والصورة والخيال).(١٧)

وليست كل كتابة مبسطة مادة يمكن أن تكون صالحة لتندرج في باب أدب الأطفال. والبساطة في العرض والتعبير ليس من السهل على أي كان أن يتقنها ويجعلها قادرة على تأدية أغراضهما، فأبسط الأمور تعصى عادة على العرض والتقديم.

---

(١٦) علي الحديدي: حكايات الأطفال العرب . مجلة العربي . العدد ٢٨٤ . ص٩٥ .
(١٧) م.س . ص٩٦ .

والكتابة للأطفال هي من هذا البسيط الذي يعد عرضه والخوض فيه صعباً مستصعباً. والصعوبة كامنة في بساطة الكتابة ذاتها. لذلك فإن كثيراً من الكتاب المعروفين والمشهورين في طول باعهم إن في كتابة القصة والرواية أم في مجال الشعر والمسرح، يجدون أنفسهم غير قادرين على إنتاج مادة أدبية طفلية، أو أنهم يتهيبون الخوض في هذا المضمار. وقد شرح (توفيق الحكم) ذلك موضحاً مشكلته مع ادب الأطفال بقوله:

"إن البساطة أصعب من التعمق، وإنه لمن السهل علي أن أكتب وأتكلم كلاماً عميقاً، ولكن من الصعب أن أنتقي أو أن أتخير الأسلوب السهل الذي يشعر السامع بأني جليس معه ولست معلماً له، وهذه هي مشكلتي مع أدب الأطفال"(١٨)

ومن الصعوبات الأخرى في مجال الكتابة للأطفال ما ينشأ عن أهداف تتعلق بطبيعة تلك الكتابة حيث ينشأ ما يسمى بالتعارض أو الاتفاق بين الأهداف التربوية التي يرمي إليها النص وما يجب أن يتقيد به من حيث الشروط الفنية.

"في أدب الأطفال يلتقي الفن والتربية أو يختلفان، وفي هذا التلاقي أو الاختلاف تكمن غالبية المشكلات، ويمضي الكتاب والفنانون والمربون إلى معالجة ما يؤرقهم ويعملون دائبين لإيجاد الحلول الممكنة أمام الكتابة للأطفال."(١٩)

هل أن الشروط المطلوبة في أدب الأطفال دائماً هي التي كانت مفقودة ولم تعرف إلا بعد المكتشفات العلمية الحديثة في موضوع الطفولة؟ أم أن بعض النصوص الأدبية التي ظهرت في مرحلة سابقة على هذه الكشوف ما تزال نصوصاً صالحة ومفيدة؟.

في واقع الأمر إن ما يمكن أن ندرجه في باب أدب الأطفال كما تواضع الدارسون على تسميته اليوم يعود إلى وقت أبكر من ظهور دراسات علم النفس وعلم نفس الطفولة.

إذ أنه لو كان الأمر كذلك لرفضنا إدراج كل نص أو أدب ظهر قبل هذا القرن في هذا الباب.

فماذا عسانا نقول عن (حكايات إيسوب)، التي ظهرت مطبوعة في القرن الخامس عشر والتي أقبل عليها الأطفال أيما إقبال مع أنها قد كتبت أصلاً للراشدين؟

---

(١٨) هادي نعمان الهيتي: ثقافة الأطفال عالم المعرفة ١٢٣ . ص١٥٧ .

(١٩) عبد الله أبو هيف: أدب الأطفال (نظرياً وتطبيقياً) . منشورات اتحاد الكتاب العرب . ص٢٨٣ . دمشق ١٩٨٣ .

وقد استخدمت هذه القصص فيما بعد للقراءة في معظم البلدان الأوروبية، وقد ظهرت لأول مرة باللغة اللاتينية، ثم ترجمت إلى لغات كثيرة في شتى أنحاء أوروبا، وقد أعيدت طباعتها بين عامي ١٤٨٠ . ١٥٣١ ست مرات. وحكايات أيسوب هذه تتحدث عن شخصية أقرب إلى الخرافة عاشت في أواسط الألف الأول قبل الميلاد، وقد كان أيسوب بحسب هذه الحكايات رقيقاً تنقل بين عدد من المالكين، ولكن ذكاءه وحكمته أديا إلى تحريره من العبودية، وصار شخصية شهيرة تنقلت بين أعمال رفيعة المستوى. وقد وضع حكاياته لتكون وسيلة لتهدئة الخواطر وإخماد الفتن في بعض المدن اليونانية وتناقلت خرافاته هذه شخصيات بارزة في تاريخ الفكر الإنساني من أمثال سقراط وفيدروس وغيرهما.[٢٠]

وفي الوقت ذاته ماذا نقول عن قصة (روبنسون كروزو) التي ظهرت في أشكال مختلفة في بلدان كثيرة وتلقفها الأطفال بأشكال وصور مختلفة، وكذلك الحال بالنسبة لمجموعة (جيوفاني بوكاشيو) القصصية (الأيام العشرة) وقد ظهرت في القرن الرابع عشر بايطاليا. ومجموعة الحكايات الخرافية التي أهداها الشاعر لافونتين في القرن السابع عشر لولي عهد الملك لويس الرابع عشر.

هذا بالنسبة للآداب الأوروبية. أما بالنسبة للأدب العربي ألا نجد في (كليلة ودمنة) تلك الحكايات التي ما يزال الأطفال حتّى يومنا هذا يقبلون عليها ويقرؤونها بمتعة ورغبة؟ وكذلك الحال في بعض قصص (ألف ليلة وليلة) إضافة إلى بعض الأمثال والحكايات القديمة وهي كثيرة في تراثنا العربي؟.

أما في العصر الحديث، فقد تكون البدايات لأدب الأطفال في الأدب العربي موجودة في تلك المقطوعات الشعرية التي نظمها أمير الشعراء (أحمد شوقي). وفي تلك القصص التي أعدها (كامل كيلاني) والتي ما تزال محبوبة من قرائها الأطفال. وأول ما يطالعنا من كتاباته في هذا الباب إعادته لكتابة قصة (حي بن يقظان) للكاتب الاندلسي (ابن طفيل) وهي قصة فلسفية. إلا أن الكيلاني فقد أعاد كتابتها لتكون قصة مسلية تكشف ببساطة عن مراحل التطور الطبيعي للإنسان. وكذلك فعل بالنسبة لبعض القصص التي أخذها عن (ألف ليلة وليلة). ومن هؤلاء الرواد نذكر أيضاً (محمد عطية الابراشي) والذي اقتبس من التراث ومن القصص الدارجة على ألسنة الناس قصصاً صاغها بلغة مناسبة للأطفال وغلب فيها الجانب التربوي.

---

(٢٠) هادي نعمان الهيتي: م.س.ذ

ومن الكتاب الرواد من اقتبس عن الآداب الأجنبية بعض القصص والحكايات وصاغها بلغة مقبولة قرب مفاهيمها إلى الطفل العربي. من هؤلاء نذكر (محمد عثمان جلال) الذي ترجم حكايات الشاعر الفرنسي (لافونتين) وصاغها شعراً. من ذلك على سبيل المثال حكاية (الثعلب والعنب) التي قد نشرت مراراً في عدد الكتب المدرسية:

حكاية عن ثعلب — قد مرّ تحت العنب
وشاهد العنقود في — لونٍ كلون الذهب
وغيره من جنبه — أسود مثل الرطب
والجوع قد أوى به — بعد آذان المغرب
فهمّ يبغي أكله — منه ولو بالتعب
عالج ما أمكنه — يطلع فوق الخشب
فراح مثل ما أتى — وجوفه في لهب
وقال هذا حصرم — رأيته في حلب
والفرق عندي بينه — وبين تين العلب
فإن هذا أكله — يشبه لحم الأرنب
ولحم ذاك مالح — كالضرب فوق الركب
قال له القطف انطلق — ثعلب ابن ثعلب
طول لسان في الهوا — وقصر في الذنب

أما في سورية فإننا نذكر من هؤلاء الرواد جميل سلطان، أنور سلطان، عبد الكريم الحديدي، نصرة سعيد، وعبد الرحمن السفرجلاني..

ثم تتابع الإنتاج في مجال أدب الأطفال وأخذت طريقها إلى النشر المجموعات القصصية وبعض الروايات القصيرة وكتب الشعر،هذا بالإضافة لما نشر وينشر في الصحافة اليومية وفي الدوريات الثقافية بعامة والدوريات الخاصة بالأطفال بخاصة.

وقد أخذ هذا الأدب يثبت أقدامه على خجل أحياناً، وبشكل لافت للنظر أحياناً أخرى.وصار لأدب الأطفال في الأدب العربي كتابه المعروفون الذين التزم بعضهم بإنتاج أدب الأطفال وبعضهم كتبه إلى جانب نشاطاته الأدبية بعامة. يلتزم كتاب أدب الأطفال إلى حد كبير اليوم في إبداعاتهم بضوابط نفسية واجتماعية وتربوية مراعين خصائص الطفولة وحاجاتها ومستوى نمو ودرجة نضج كل فئة عمرية من فئات مرحلة الطفولة مستعينين بوسائل الثقافة الحديثة في الوصول للأطفال. وبقدر هذا الالتزام يكتسب أدب الأطفال مشروعيته.

(٢) المدخل النفسي والاجتماعي لأدب الأطفال

من هو المتلقي لأدب الأطفال؟ هذا السؤال يجد جُوابه بسهولة، إنه الطفل هذا الكائن الذي أصبحت معرفة طبيعته وخصائصه النفسية والاجتماعية ميسورة، وهي معرفة تشكل شرطاً جوهرياً لمن يأخذ على عاتقه إنتاج مادة أدبية تتوافر فيها أسباب التشويق والجاذبية الكافية لإقبال الطفل عليها.

وكيف يتصل الكاتب بقرائه أو متلقيه؟ لم تعد المادة المكتوبة هي الأداة الوحيدة لنقل ما يريده الكاتب، فالمتلقي (الطفل) يتصل بالأدب قبل أن يتملك مهارة القراءة وذلك من خلال الإصغاء إلى الكبار أو لمن امتلكوا مهارة القراءة وهم يتلون أمامه مادة أدبية. أو من خلال استماعه إلى المذياع أو مشاهدته للتلفاز وغير ذلك من وسائل الاتصال التي تنتشر انتشاراً واسعاً..

إلا أن أدب الأطفال الذي يصل إلى متلقيه بوساطة القراءة سيبقى هو المعني بدراستنا هذه، وذلك للأهمية التي لمهارة القراءة، هذه المهارة التي تؤتي ثمارها حين يصبح الإطلاع على المواد المكتوبة اتجاه من اتجاهات الطفل الأساسية. وتكتسب الميول للقراءة أهميتها من حيث أن تكوين اتجاه إيجابي نحوها في سنوات الطفولة سيلغي ما نلاحظه لدى غالبية الذين يتقنون القراءة والكتابة من الكبار من عزوف عن القراءة. هذا العزوف مرده على الأغلب فوات الفرص لتنمية الميول القرائية في اثناء الطفولة..

هذه المقدمة تؤدي بنا للبحث في المدخل النفسي والاجتماعي لأدب الأطفال وذلك من خلال إبراز العلاقة بين أدب الأطفال وحاجات الطفولة ومطالبها، وبينه وبين النمو اللغوي وأخيراً العلاقة بين أدب الأطفال والمجتمع.

أولاً ـ أدب الأطفال وحاجات الطفولة:

لا بد في حالة التوجه للطفل من أن يكون المرسل على بينة جيدة من طبيعة الطفولة وخصائصها. وقد أتاح اكتشاف الطفولة المجال لأن يخطو أدب الأطفال خطوات راسخة ترتكز إلى أسس معرفية موضوعية بعيدة عن الارتجال. وأصبح الذين يهتمون بالكتابة للأطفال جزءاً من حملة واسعة تهدف إلى تقديم العون للطفل لينمو نمواً سليماًمتوازناً متكاملاً في مختلف جوانب شخصيته. فنشأت الاتجاهات الحديثة ونمت الدراسات المهتمة بشخصية الطفل من نواحيها الاجتماعية والنفسية..

وأهم ما ينبغي التقيد به في حال توجهنا بالمادة الأدبية للطفل من أن هذه المادة

ستكون جزءاً من خبرات تتجمع لديه، وهذه الخبرات يجري اندماجها مع صفاته التكوينية لتشكل معها وحدة وظيفية متكاملة . وأن لهذه الخبرات في مرحلة الطفولة أهميتها، إذ أن كثيراً من الخبرات البسيطة والتلميحات العابرة التي تمر (دون أن يعيرها الكبار أي اهتمام، تعود فتظهر في صور أخرى في سلوك الكائن البشري إذ أنها لا تكون سوى نتاج لما مرّ في مرحلة الطفولة.).

وتحفل كتب التحليل النفسي بتلك الحالات المرضية التي تظهرعند بعض الأشخاص والتي ترجع بأسبابها إلى خبرات مزعجة تراكمت في أيام الطفولة المبكرة.

ومن جانب آخر فإن أدب الأطفال باعتباره وسيلة تثقيفية بالدرجة الأولى فإنه يصبح وسيلة تعليمية وتعلمية، ويترك أثراً في شخصية الطفل لكونه نوعاً من الاكتساب الذي يتضافر مع عامل النضج في عملية نمو الشخصية وتكاملها. ومسار النمو لدى الكائن البشري لا يمكن فهمه إلا بفهم العوامل التي تقود النضج. ذلك أن النمو لا يخلق من عدم، بل ينطلق من قدرات وقابليات في الشخص تتشابه لحد ما عند غالبية من هم في سن واحدة من سنوات الحياة الأولى ولكنها في تشابهها لا تصل حد التطابق، فلا يوجد شخصان لهما ذات السمات مهما تقاربت مورثاتهما البيولوجية وظروفهما البيئية ويظهر ذلك جلياً من خلال التمايز في المراحل الفرعية للنمو التي تتضح على مسارها محطات لها حساسيتها الخاصة ويترتب عليها نتائج خطيرة وحاسمة تترك أثرها البين في مستقبل الشخصية وتتأثر بها نتاجات التعلّم..

يختلف طول هذه المحطات التي هي فترات زمنية من تاريخ نمو كل فرد من شخص لآخر، وقد لا تظهر عند شخصين من عمر زمني واحد في الفترة ذاتها.

هذه المحطات التي تدعى بفترات الاستعداد النمائي أو الجاهزية للتعلّم نميز فيها فترات يستطيع الكائن البشري خلالها اكتساب بعض المهارات والقدرات بفعالية أكبر من أية فترة أخرى وفي وقت أقصر، وبجهد أقل وتحقق المدخلات الثقافية أو الإثارات التي تحصل في أثنائها مخرجات أفضل من أية فترة لاحقة أو سابقة.

ومنها فترات تدعى في علم النفس بالفترات الحرجة تكون على الأغلب محصورة في حدود زمنية معينة تتشكل في أثنائها،وعدم اكتشافها يؤدي إلى تفويت فرص تعلّمية لا تعوّض.

لذلك فتوقيت التعلّم وتقديم المادة التعلمية أو التثقيفية المناسبة في وقتها المناسب والمؤاتي يحقق أفضل النتائج.

وهكذا فإن مادة أدبية ما قد تكون ذات آثار إيجابية وفاعلية أكبر،إذا أحسن

توقيت تقديمها للطفل. ولكن إن أتت في وقتها غير المناسب فإنها إن لم تضر فإنها لا تؤتي ثماراً مفيدة.. إن مادة أدبية تكون صالحة لمن هم دون سن التاسعة لا تعطي نفس النتائج عند من هم فوق العاشرة على سبيل المثال...

ولكل مرحلة من مراحل الحياة حاجاتها ومطالبها التي يجدر بالمتوجهين بإبداعاتهم إلى الأطفال أن يكونوا على وعي بها..

وفي مجال الطفولة نجد بعض الحاجات التي تكون قائمة على أساس بيولوجي في الشخصية، وحاجات تقوم على أساس نفسي.. من هذه الحاجات حاجات الطعام والشراب والجنس والحركة والمخاطرة والمغامرة والمرح والتعاون والاطلاع والاستمتاع والتعبير.. ومنهم من يصنفها على نحو آخر (الحاجة إلى الأمن والحب، وتقدير الذات، والانتماء، والاحترام..)

لا يعني هذا أن على النص الأدبي أن يلبي هذه الحاجات جميعها. ولكن أي نص لا بد من توافر عناصر لغوية وفنية فيه تلبي أو تحفز حاجات (الاطلاع، والاستمتاع، والتعبير) عند الطفل، وذلك للأسباب التالية:

١ . الحاجة إلى الاطلاع: هذه الحاجة التي تتصل مباشرة بدافع الفضول عند الكائن البشري، وهو دافع فطري يتسارع في مرحلة الطفولة. ويتجلّى في تلك الأنشطة التكيفية التي تصدر عن الكائن البشري حتى في السنوات الأولى من الحياة. وتدفع بصاحبها إلى المعرفة يتجلى ذلك في ظاهرة التعجب من الأحداث الغريبة. فإذا بدأ الطفل يتعجب عندما تختفي الأشياء أو تستبدل بفعل أشبه بالسحر فذلك لأنه يكون قد بدأ في تكوين فكرة مؤداها أن الأشياء الغائبة عن بصره تظل موجودة.[(٢١)]

وإن تجاوب الكبار وتنظيم البيئة المنزلية وتوفير مواد اللعب المناسبة وزيادة فرص التنوع في المثيرات اليومية يساعد على نمو معارف الطفل ويلبي حاجته للاطلاع.

وبين الثالثة والسادسة من حياة الطفل تكثر أسئلته ولا تنتهي كأنه يريد أن يفهم العالم في دقائق معدودات، وتكاد لا تفوق هذه المرحلة أية مرحلة تالية من خلال الألعاب. ونجد في الأدب الشعبي فيضاً من نصوص بحاجة إلى التعديل الذي قد يكون بسيطاً جداً يحفظه الطفل من خلال ألعاب يشاركه فيها الكبار أو يقودونها.

هناك مثلاً هدهدة الطفل بقصد مساعدته على النوم:

---

(٢١) محمد عماد الدين اسماعيل: الأطفال مرآة المجتمع . ص٧٤ . سلسلة عالم المعرفة.

نـام يـا حـبـيـبـي نـام   لاذبح لك طير الحمام
يـا حـمـامـة لا تـخـافـي   أنا أضحك على حبيبي حتى ينام

أو ما يجري في حالة مساعدة الطفل لقبول تسريح شعره من قبل الكبار فيتقبل النص (المأخوذ من التداول الشعبي) على أنه نوع من لعب الكبار:

يا شعر هيا يا طول يا طول   يا شعر عدوّها أكلته العجول.

أو لعبة "الطيمشة" وهي لعبة يقوم فيها طفل أو أكثر بوضع باطن اليد على الأرض أمامه وكذلك يفعل من يشاركه اللعبة ويقوم أحدهم بقرص ظاهر يده قرصاً خفيفاً بشكل متتالي ويتلفظ عند كل قرصة لكلمة من كلمات المقطوعة التالية:

طيـمـشـة، مـنـيـمـشـة   حـبـة الـعـديـسـة
رحت لستي أم حسن،   حتى أقطف كوز بصل
وقـع مـنـي وانـكـسـر
عـلـقـونـي بـالـشـجـر   والشجر كله كبوش
خـبـئـي ايـدك   يا حلوة، يا عروس
قبل ما ينقرها الصوص

ويتوجب على الطفل عند سماعه العبارة الأخيرة رفع يده عن الأرض وإذا تلكأ أو تخلف ينال قرصة كبيرة...

٣ . الحاجة إلى التعبير وهي حاجة تظهر منذ ساعات الميلاد الأولى حيث يواجه الوليد الكون بصراخه الذي هو أول مظهر تعبيري... ما يلبث مع نمو الطفل أن يتمايز ويتخصص ويتجلى في أشكال من التعبير متعددة.

وهذه الحاجة تلبى من خلال استماع الطفل لمقطوعات من الغناء ما يلبث أن يعبر بوساطتها عن بعض اهتماماته...

٣ . الحاجة إلى الاستمتاع: هذه الحاجة تتصل بحاجات أولية أخرى كالحاجة إلى الدفء والحنان والحركة. وتتحلى وظيفة أدب الأطفال في مدى إسهامها في تربية الطفل واشباع حاجاته هذه وإغنائها..

ولكن إشباع هذه الحاجات أو الاسهام في اشباعها وتلبيتها بوساطة الأدب يكون ممكناً بفعالية أكبر كلما نمت لغة الطفل...

ثانياً ـ أدب الأطفال ونمو اللغة عند الطفل:

يستخدم الكائن البشري اللغة في أربعة مواقف هي: التحدث، الاستماع، القراءة، والتعبير بشكليه الشفوي والكتابي. إلا أن القدرات اللغوية لا تكون مكتملة النضج

منذ البداية، وهي في نموها تمر بمراحل متسلسلة تبدأ بالصراخ، فالأصوات العشوائية، فالتلفظ بالحروف التلقائية، فالتقليد، وأخيراً المعاني...

والتعبيرات اللغوية على مختلف مستوياتها تؤدي وظائف بيولوجية ونفسية واجتماعية ضرورية لبقاء الانسان ولتحسين مستوى تكيفه ونموه، بخاصة إذا علمنا بأن الطفل البشري يولد ضعيفاً أكثر من أي مخلوق آخر، ويكون بحاجة ماسة إلى رعاية الكبار وعنايتهم، فهو يعتمد على غيره في تلبية حاجاته والاستجابة لدوافعه..

واللغة هي وسيلة الإنسان إلى إشباع حاجاته للانتماء والاطمئنان والحب والحنان... وهي إضافة إلى ذلك إحدى عوامل الانضاج الانفعالي والعقلي..

ويولد الإنسان وهو غير قادر على الكلام أو فهمه لأن مستوى نضج أجهزته الصوتية والإدراكية لا يسمح له بذلك، ولكنها تكون، أي أجهزته [مبرمجة بشكل عام، بحيث تكتسب هذه القدرة بناء على عملية نضج للجهاز العصبي المركزي]..[٢٢]. ولكن الطفل ينصت منذ الشهور الأولى إلى ترنيمات الكبار وإلى ما يصدر عنهم من كلام أو ما يسمع من أصوات. وتصدر عنه منذ البداية تعبيرات تحقق له تكيفاً مقبولاً. وأولى هذه التعبيرات هي الصراخ الذ يستقبل به الحياة. وخلال الأسابيع الأولى يبدأ بإصدار نغمات لا تحمل تعبيرات محددة ثم تأخذ هذه النغمات بالتمايز، ومع نمو أعضاء الصوت تبدأ عنده مرحلة المناغاة التي تنمو بالتدريج لتأخذ أصوات حروف الهجاء، وتكون هذه المناغاة البذور الأولى التي تنمو منها لغته التي يكتسبها من الكبار والمحيطين به..

ويحتاج النمو اللغوي ، كأي مظهر نمائي آخر ، إلى توافر ظروف بيئية ملائمة. وتؤدي الاختلافات البيئية إلى اختلاف القدرة اللغوية، من حيث عدد المفردات وتنوع التراكيب والدلالات التي تؤديها. فالاستعداد البيولوجي إذاً، وإن كان شرطاً ضرورياً لنمو اللغة، إلا أنه ليس شرطاً كافياً..

وفي هذه السنوات الأولى حيث النمو اللغوي في مرحلة التبرعم، يكون لهدهدات الأم وترانيمها وللأغنيات التي يسمعها الطفل مهما تكن بسيطة من حيث المعنى والمبنى، إسهاماً -في مد جسور التواصل مع الآخرين.. ويمكن في هذه المرحلة التحدث عن شكل أدبي أو أدب مناسب يعرض على الطفل شفوياً. وهذا الأدب لن

---

(٢٢) محمد عماد الدين اسماعيل: م.س. ص١٠٨ .

يستخدمه الطفل وإنما يتصل به ويتلقاه منطوقاً من الكبار. وقد نجد في الموروث الشعبي كثيراً من الاغنيات البسيطة التي كانت تتوارثها الأمهات، يبتكر منها فيسمعها الطفل منهن وهو في حجر أمه أو جدته، أو من ينوب منابهما. كما يسمعها عندما تقوم أمه بتنظيفه. أو إلباسه ثيابه أو حين يراد اسكاته عن البكاء، وغير ذلك من المواقف.

ويمكن لمثل هذه الأغنيات أن تتنوع ويبدأ هو فيما بعد يحفظها وترديدها، ثم في مرحلة تالية يصبح قادراً على فهم الحكاية التي يقصها عليه الكبار، وليس بعيداً عنّا ذلك العهد الذ كان فيه الأطفال يتحلقون حول الجدّة فتقص عليهم الحكايات ويغفو بعضهم حولها قبل إتمام القصة. ومن الأشكال التي يمكن أن تدرج في باب الأدب بعض الألعاب التي يؤديها الأطفال قبل أن يتعلموا القراءة فيؤدي كل منهم دوراً في لعبة من الألعاب ويكون على كل واحد أو أكثر أن يردد بعض العبارات مع الحركات المتعلقة بها. وهذه الألعاب جديرة بأن تجد مَنْ يهتم بها فتجمع وترتب ويمكن أن تطور لتؤدي وظيفة تثقيفية للطفل.

لعبة الطاقية

يجلس عدد من الأطفال القرفصاء على شكل دائرة ويبقى أحدهم خارج الدائرة ووجوه الآخرين نحو الداخل. الطفل الموجود خارج الدائرة يحمل الطاقية ويسير حولها وهو يغني:

"طاق طاق طاقية" نحن أولاد عربية
الأطفال الآخرون يرددون : طاق طاق طاقية.
الطفل: رن رن يا جرس الطفل: معلمتي فوزية
الأطفال: حول واركب على الفرس، الله يخليها لي.
الآخرون : الله يخليها ليّ.

وخلال هذه الأغنية يضع الطاقية أمام أحد الجالسين بعد أن ينقطع عن الغناء ويكون على من وضعت الطاقية أمامه أن يحملها ويقوم بدور الأول ويترك مكانه في الدائرة ليجلس فيما بعد مكان زميله وهكذا.

وقمين بالكتّاب الذين يتوجهون بإبداعاتهم الأدبية إلى جمهور الأطفال أن يعملوا على إنتاج مقطوعات شعرية أو قصص وحكايات نثرية تشكل جزءاً من لعبة يمارسها

الطفل بخاصة في سنوات الحضانة والروضة، وفي سنوات المدرسة الأولى، مما يغني ألعاب الأطفال ويجعلهما أكثر تشويقاً إضافة لما لمثل ذلك من قيمة ثقافية وفنية وتعليمية تلبي حاجة طبيعية ذات أثر إيجابي في عملية تكوين شخصية الطفل.

ثالثاً ـ أدب الأطفال والمجتمع:

بين الأدب والحياة صلات حميمة تعطي للأدب لونه وطعمه. فأي أدب، سواء كان ذلك الفن الذي تعارفت عليه البشرية منذ أقدم العصور والذي يشمل فيما يشمله القصة والرواية والقصيدة والمقالة وغير ذلك، أم كان واحداً من هذه الأجناس موجهاً للطفل، فإنه لا يمكن النظر إليه خارج نطاق الحياة بكل ما تزخر به من عادات وتقاليد ونظم وفلسفة.

الأدب وسيلة الإنسان لفهم الحياة ورسم أهدافها والنهوض بها. فهو إذ يرصد الواقع يحاول باستمرار أن يطلّ على المستقبل في عملية استشراف تحمل نبوءات كثيراً ما تصدقها مجريات الأمور. والأدب في محاولته تجاوز الواقع والرحيل عن الحاضر، لا يفعل ذلك هروباً من مواجهة الصعاب والمشكلات، وإنما يقوم بعملية ترويجية تنفيسية من جهة، ويتلمس حقائق الحياة من جهة أخرى بهدف الإسهام في عملية التغيير والبناء التي لا تحيا الحياة بغيرها، ولا يكون لها طعم..

ويحاول الأدب أن يدل على طريق الخلاص فلا يستسلم لخيالات تبدو تحت النظرة الثاقبة نوعاً من أحلام اليقظة التي يهرب إليها الانسان في حالات الضجر والضيق، ويضيّع خلالها ساعات ثمينة من حياته.

فالبون شاسع بين أدب الأحلام الوردية المقطوع عن الحياة، وبين أدب الحياة الواعد الذي يكشف المستقبل ويناضل الفساد في عملية تجاوز وتسام. وهو من زاوية أخرى مندمج في اتجاهات العصر وروحه، لأنه ابن زمانه ومكانه، إضافة إلى انتسابه لفلسفة المجتمع ونظرته إلى الطفل ذاته.

ففي مجتمع ينخرط فيه الأطفال في وقت مبكر بمعركة الحياة، يكون الأدب الموجه لهم مختلفاً عما هو في مجتمع يتيح للأطفال فرصاً في أن يعيشوا طفولتهم بكل ما لها من مجالات ويشبعوا حاجاتهم.

وهذا لا يسوغ الانزلاق إلى القبول بذلك الأدب الذي يعتمد أساساً على تبسيط أدب الكبار وتقديمه للأطفال بلغة مختلفة، وهو ما انطبع به أدب الأطفال ردحاً من الزمن، دون مراعاة لطبيعة الطفل وحاجاته، ودرجة نموه العقلي والانفعالي والاجتماعي

والجسدي. أو إلى إثقال أدب الأطفال بالأفكار الفلسفية والرموز التي يصعب على الطفل إدراك مضامينها، فليس مقبولاً زجّ هموم الكبار في المادة الأدبية المقدمة للصغار..

وفي هذا الصدد لا بد من الإشارة إلى رأيين متباينين إلى حدما، ويتعلقان بما يمكن أن تتعرض له المادة الأدبية الطفلية. هل تعرض الحياة بقضّها وقضيضها بهدف مساعدة الطفل على التكيف بحجة أنه سيواجه الدنيا بكل ما فيها من أفراح وأتراح، وأن الحياة ليست نزهة جميلة دائماً؟ أما الرأي الآخر، فيبني على أساس أن ندع الطفولة للفرح فلا نعكرها بمنغصات الحياة منذ الصغر..

ولكن الإجابة على ذلك ليست جاهزة، وما لا بد من ذكره، هو أن على هذا الأدب مراعاة سن الطفل ونموه العقلي على الأخص، فلا يثقل على الطفل بما لا يستطيع فهمه أو يسستسيغه، ولا يسرف هذا الأدب في زجه بمشكلات الجماعة، كما لا يسرف في إقصائه عنها، فلا مصادرة للابتهاج والفرح من نفسه بهموم الحياة وتعقيداتها، ولا يعني هذا أن نسْلم الطفل للفزع والخوف، شأنه في ذلك شأن الحياة التي هي ليست فراغاً من الهم كما أنها ليست دائماً مرحاً وفرحاً.

فالأدب الذي يسهم في بناء شخصية الطفل والنهوض بها وإدماجها في الحياة الاجتماعية هو ما يراعي:

١ . طبيعة الطفل وخصوصية مرحلة الطفولة والمراحل الفرعية التي تنطوي عليها.

٢ . متطلبات الحياة الاجتماعية والأهداف العامة للمجتمع فلا يقبل للأدب إلا أن يكون ذا رسالة كي يمتلك أسباب الحياة. وأن عليه أن يحقق التوازن المطلوب بين الفرد والبيئة.

٣ . الأدب ذو الوظيفة التثقيفية الإيجابية يجب أن يمتلك عناصر الإثارة المناسبة التي تستدعي استجابات إيجابية من المتلقي، ومقدمات تجعله قادراً على تحريك وتوجيه دوافع الطفل توجيهاً إيجابياً، بخاصة ما يتلعق منها بحاجته إلى تحقيق ذاته، فيعمل على إثارة اهتمام الطفل، وجذب انتباهه، وإذكاء تحقيق هذه الحاجة عنده.

تصف (هيلين غاردنر)[٢٣] في كتابها (دفاعاً عن الخيال) الأدب الذي يشبع في الانسان رغباته بقولها:

"الأدب الذي ينمي معرفتنا بالعالم وبأنفسنا ليس هو ذلك الأدب الذي يهدف إلى التلقين، ولكنه الأدب الذي يرفه عنّا، ويبعث فينا حب الاستطلاع، ويجذب

---

(٢٣) عن نور الشريف: في مراجعتها كتاب (دفاعاً عن الخيال) لهيلين غارونر عالم الفكر. م١٣ . ع٤ . ص٢٦٥ .

عواطفنا،ويشركنا في عالم من القيم الأخلاقية عن طريق المشاركة المحببة إلينا في أثناء المخاطر والأزمات والأفراح والأحزان الخيالية".

٤ . الكائن البشري ، طفلاً كان أم راشداً ، قادر على الاتصال والتفاعل بالبيئة بوجهيها المادي، والاجتماعي والثقافي. وباستطاعته مواجهة تحديات هذه البيئة التي لا تراعي أصلاً خصوصية المراحل النمائية للإنسان. و يكون ذلك خلال بعدين متكاملين لقدرة هذا الكائن على التكيف. ويتجلى البعد الأول في عملية التمثيل التي تشكل عملية تلاؤمية تقوم على أساس من فعالية الكائن في تغيير للبيئة لتكييفها وجعلها على مثاله. أما البعد الثاني فهو عملية المطابقة التي من خلالها يعمل الكائن على تغيير مواقفه وتعديلها للتطابق مع الظروف بخاصة عندما تكون البيئة شديدة المقاومة..

٥ . الطفل بمعنى ما ، كما تدلنا حاجة حب الاطلاع عنده ،باحث عالم، مسكون بها جس التنقيب والاكتشاف والفضول، لا يتعب من طرح الأسئلة التي تتوالد عنده من بعضها، وكأنها تفيض من نبع لا تنضب مياهه..

فالأدب ذو الوظيفة التثقيفية هو ما أشبع نهماً في الطفل لاكتساب معارف متنوعة من مختلف زوايا الحياة.

لكن هذا لا يعني بالطبع أن تحشد له المعارف والمعلومات حشداً، ويحشى ذهنه بها حشواً إنما يكون من خلال إثارة خياله وشحذ تفكيره.

ومن المفيد الاستشهاد بما يقوله (مكسيم غوركي) عن مهمة الأديب الذي يقدّم مادته الأدبية للأطفال والخصائص التي ينبغي أن تتوافر في هذه المادة والمناسبة لتخيلات الطفل وتفكيره.

"مهمتنا تنحصر في وضع العلم في خدمة الطفل، وفي تعويد الأطفال على التفكير في المستقبل"(٢٤) فالأطفال يقرؤون الكتاب الذي يتحدث عن النمور كما يتصورونها هم، لا كما نراها في بعض المجلات المصورة التي تبسط العلم...

(٣) مدخل تقني إلى أدب الأطفال

منذ القديم مارس الانسان عملية التعبير والافصاح عما في نفسه، وعن الحالات والمواقف التي يجد نفسه إزاءها مستعيناً بالعبارات والإرشادات والحكايات

(٢٤) د. عبد الرزاق جعفر: مكسيم غوركي كاتباً للأطفال . مجلة المعرفة . العدد (٢١٤ . ٢١٥) عام ١٩٧٩ . ١٩٨٠ .

والحركات والألوان وتتيح له المعارف والخبرات والوسائل التكنولوجية الحديثة إنتاج الكلمات والصور والرسوم والأصوات. ويستقبل الأطفال هذه الوسائل وهم على علم بأنهم لا يواجهون الحياة ذاتها وإنما ما يمثلها ويجسدها من خلال التأليف بين اللغة اللفظية وغير اللفظية.(٢٥)

ولا يثار الطفل في البداية باللغة وحدها وإنما بمشاركتها بالحركات والايماءات وثروة الطفل اللغوية تبدأ من الصغر ثم تنمو شيئاً فشيئاً، وفي اتصاله باللغة يتجلى جانبان، الأول يتمثل في الكلمات التي يفهمها عندما يسمعها أو تتسنى له قراءتها، والثاني الكلمات التي باستطاعته أن يستخدمها. ثم أن المفاهيم التي تنطوي عليها الكلمات تختلف عما هي عليه عند الكبار.

فأدب الأطفال محكوم لحد كبير بسعة الثروة اللغوية عند الطفل. ولا بد له من استخدام الكلمات والجمل والتراكيب التي يفهمها الطفل ويتذوقها.

فالجانب التقني لأدب الأطفال نقصد منه أمرين. أولهما يتعلق بالكلمات التي يستخدمها الكاتب، وثانيهما بمستوى مهارة القراءة عند الطفل باعتباره المتلقي لهذا الأدب.

١ ـ لغة الطفل وأدب الأطفال:

تناولنا في فقرة سابقة اللغة والنمو وتبينا إلى حد ما بعض سمات النمو اللغوي عند الأطفال لذلك فليس مستساغا تكرار ذلك من جديد. ولكن لا بد من تحديد بعض الوظائف التي يمكن أن يؤديها أدب الأطفال بهدف النهوض بلغة الطفل. لو تتبعنا بالملاحظة طفلين أحدهما ذو صلة بأدب الأطفال، والآخر من أولئك الذين لا يتيسر لهم ذلك، لوجدنا أن الطفل الأول قد اكتسب معارف جديدة واتسعت مفاهيم اللغة لديه شمولاً. فالأدب يثري لغة القارئ وينمي معارفه، ويذكي خياله، ويوسع مداركه فتغدو المفاهيم لديه أكثر دقة واتساعاً. وتنمو لديه القدرة على التعامل مع اللغة بمهارة. ويجد علماء النفس اللغوي أن الاستجابة للشخص المحدث أو للمادة المقروءة تتأثر بنوعية اللغة المستعملة في التواصل. وفي مجال أدب الأطفال يكون التركيز على الجوانب السلوكية ظاهرة معقدة تخضع إلى نظام من الرموز،

(٢٥) هادي نعمان الهيتي: ثقافة الأطفال . ص٨٠ . سلسلة عالم المعرفة.

وإلى سلوك اتصالي ينطوي على معان موضوعية إشارية صريحة إضافة إلى المعاني الذاتية الضمنية.

فالتعامل مع الطفل من خلال الأدب الموجه إليه، يقتضي الإدراك بأن الاتصال معه يستلزم وعياً بالمعاني المختلفة والكامنة وراء العبارات والكلمات، فلا ننتظر مثلاً، أن تثير كلمة (وطن) في الطفل ما تثيره لدى الراشد، فمفاهيم الطفل عن العالم الخارجي تتأثر، أو أنها نتاج، عدد من العوامل المتشابكة والمتفاعلة.،وهي مفاهيم تتنتظم باستمرار وبسرعة في كثير من الأحيان.

ومن المفيد هنا تسجيل بعض الملاحظات حول اللغة التي يتعامل بها الأدباء في الأدب الموجه للأطفال:

١ . يتجمع في مكتبة الطفل العربي كمّ معقول من أدب الأطفال قصة قصيرة وقصة طويلة، وشعر، ومسرح. منه مارعته مؤسسات رسمية أو شعبية، ومنه ما تنتجه دور نشر خاصة. هذا الكم من الأدب منه ما هو مترجم أو ما هو نتاج إبدعات محلية وعربية، منه ما هو مقتبس عن التراث أو أدب الكبار أو الآداب العالمية. يلاحظ في بعض النصوص المترجمة أن مترجميها يحشرون الأسماء ، أسماء الأشخاص والأمكنة ، كما وردت في لغتها الأصلية، والمسوغات التي يفيئون إلى ظلها تنطلق من اعتبار أن الترجمة دقة وأمانة، ناسين أو متناسين النتائج التي تثقل الطفل وتربك القارئ فيصعب عليه فهم النص واستيعابه إذ يصعب عليه متابعة القراءة، أو أنه يرتبك نتيجة ذلك، وقد يتجه إلى القراءة الببغاوية. فحيث يكاد يحفظ هذا الاسم أو ذاك حتى يختلط عليه الأمر حين يقرأ اسماً جديداً، مع ما للفظ الغريب من إحداث نوع من توزيع الانتباه والخروج عن متابعة أحداث النص. في قصة بعنوان (أبي) في مجموعة (الأرنب يربي السمك). [٢٦] على سبيل المثال

نسأل طفلاًيقرأ المجموعة ما حكاية الصبي (فلوديا) في هذه القصة، يندهش الطفل لأنه قد نسي الاسم، ويرتبك فيستفهم (من هو فلوديا)؟ هل مرت هذه الكلمة في القصة؟ أصبي هذا (الفلوديا) أم بنت؟ ويبدي سلوكاً ينم عن شعوره بالذنب لأنه لم يدرك جنس هذا الشخص، أو لأنه لا يستطيع أن يلخص هذه القصة..

فلو أن المترجم عمد إلى استبدال الأسماء الأجنبية بأسماء عربية مألوفة لما حدث

---

(٢٦) الأرنب يربي السمك محموعة قصص لعدد من القاصين بالروسية. ترجمها إلى العربية كرم رستم وصدرت عن وزارة الثقافة . ١٩٨٠ .

للقارئ ما حدث . أمّا ما يقال عن أمانة المترجم والتزام الترجمة بذلك ودقتها يمكن أن يشار في بداية القصة أو في نهايتها إلى الأسماء الأصلية المقابلة للأسماء العربية.

تفتقد بعض النصوص الأدبية مقوماتها الفنية، بسبب من أن بعض الكتاب يلجؤون إلى كتابة نصوصهم بلغة تقريرية مباشرة بحجة خدمة هدف تربوي خاص بالنص أو هدف اجتماعي عام، فتطغى حينئذ على النص اللغة المباشرة، فيفقد النص قوته وجماله ووضوحه وجاذبيته.

وإلى هذا يشير الشاعر (سليمان العيسى) في مقابلة معه، نشرت في مجلة (الموقف الأدبي)، قائلاً:

"لا أضحي بلغة الشعر، وبفن الشعر في سبيل أغراض تربوية، ولا أقبل أن تكون لغة الشعر التي تقدم للأطفال معادلاً موضوعياً للمفاهيم الكامنة وراءها..أنا أرفض أن تجور التربية على الفن، وبالمقابل أرفض أيضاً أن يجور الفن الشعري على الهدف التربوي" (٢٧)

ويضيف الشاعر العيسى:

"أحد الذين يؤمنون بالنفعية في لغة الشعر اعترض على قولي:

العبي يا طائرة بالنجوم الزاهرة

ونصحني أن أقول: العبي يا طائرة

بين النجوم الزاهرة

بحجة أن الصورة في البيت الأصلي تعلو على مدارك الصغار، وفاته أن مثل هذا التعديل يحطّم فنية الشعر، ويقتل خيال الطفل".

٣ . يحدث أن أصحاب النصوص الأدبية في أدب الأطفال يترجمون رؤاهم إلى لغة الطفل وكذلك مشاعرهم واتجاهاتهم. فلا يدركون أنه لا يكفي أن تكون اللغة مناسبة، إذ لا بد من محتوى يكون مما يتعلق بحاجاتهم، ومما يجذب انتباههم، فمدركات الطفل تختلف كثيراً عن مدارك الراشدين واهتماماتهم..

فالأم على سبيل المثال، هي عند الراشد مثال التضحية. ويتجلى حب الأم في احترامها، وفي تقديم كل عون لها. لكن صورة الأم تختلف عند الطفل عنها عند الراشد. فهي في بعض مراحل النمو، تأخذه بحنان إلى حجرها، تحتضنه، وتغدق عليه الحب، وتطبع على وجنتيه القبلات، وتعطيه ما يحب ويشتهي،

---

(٢٧) الموقف الأدبي . العدد (١٣٨ . ١٣٩) ص١٧١ .

وينجذب إليها. دونما إشارة منه إلى أنها تحرم نفسها الملذات لتقدمها له. فهذه قصيدة كتبها أحد الأطفال مناجياً أمه قائلاً:

"أمــي..　　يا أحب الناس إلى قلبي

أيتـهـا الجميـلـة الباسـقـة　　كـعـروس خـالـدة

يا من تغسلني وتنظفني　　تـطـعـمـني وتـعـتني بـي

تـصـونـنـي مـن الأذى　　تبتسم كلما أبصرتني".(٢٨)

وبهذا تكون قصيدة (سليمان العيسى) التي ينشدها أطفال سورية والأردن لورودها في كتابهم القراءة خير معبر بلغتها عن هذه النقطة:

مـامـا مـامـا　　يـا أنـغـامـا

تمـلأ قـلـبـي　　بـنـدى الحبّ

أنـت نـشـيـدي　　عـيـدك عـيـدي

بـسـمـة أمـي　　سـرّ وجـودي

أنـا عـصـفـور　　مـلء الـدار

قـبـلـة مـامـا　　ضـوء نـهـاري

أفـتـح عـيـني　　عـنـد الـفـجـر

فـأرى مـامـا　　تمـسـح شـعـري

أهـوى مـامـا　　أفـدي مـامـا

وعلى الرغم من طول هذا النشيد الموجه لأطفال السادسة، فإنهم يحفظونه بسرعة غير متوقعة.

فالتجربة المباشرة لاستجابة الأطفال للنصوص الأدبية تفجأ الكبار بكثير من الأشياء والأمور التي يجهلونها عن قدرات الأطفال وتفكيرهم. وتتحدث الطفلة (هيا) ابنة السادسة عن هذا النشيدقائلة: (سليمان العيسى يحب أمه، كتب هذا الشعر لأنه يحبها، عندما أكبر سأكتب قصيدة لأمي)..

٤ . تتنوع حاجات الطفل وتختلف من سن لأخرى ـ كما مر معنا داخل المرحلة ذاتها فهو منجذب إلى ما يشبع حاجاته ويلبي رغباته. فالحاجات الاجتماعية العالية مثل حب الوطن والأمة والإنسانية، والانتماء إلى الجماعة ترتبط بسنوات الطفولة الأخيرة، أكثر من ارتباطها بالسنوات السابقة عليها. أما في السنوات الأولى فتكون

---

(٢٨) قصائد أطفال كوسوفا . ترجمة عبد اللطيف الارناؤوط . الموقف الأدبي . ع٩٥ . ص٩٦ .

الحاجات محددة تتعلق بالجانب الحيوي والفيزيولوجي هادفة إلى حفظ العضوية واستمرار نموها والإبقاء على توازنها.

ويكون العالم الذي يدركه الطفل في السنوات الأولى محدداً، والخبرات إزاء ذلك تكون ذات مساحة ضيقة. وتتفتح في هذه السنوات، بخاصة بعد السنة الأولى وابتداء من السنة الثانية قدرات الكشف والتنقيب عند الطفل يستخدم في أثنائها حواسه، وخبراته اللغوية المحددة للتعرف على البيئة مدفوعاً أو معبّرا عن حاجته للاطلاع.

ومع تدني مستوى خبرته نجده قادراً على الاستماع إلى العبارات ذات الجرس، والقصص القصيرة، على الرغم من الفقر في ثروته اللغوية. تطربه الكلمة الرنانة ذات الجرس الموسيقي ويفتنه النغم البسيط. فهو ينصت إلى الكلام المسجوع والموزون ويطلب تكرار السماع الموسيقى للجمل والتراكيب، ينصت بشغف إلى ترنيمة أمه تنشده إلى صدرها قائلة:

آح، آح يا بردي

قطعة حطب ما عندي

عندي بنتي الصغيرة تعزف على الطنبورة

وفي بعض المناطق يقال (المنجيرة).

آح، آح

يابردي.

أو يستمع بشغف إلى قصة العصفورة، وتفرحه الكلمات المكررة فيها:

يوجد عصفورة حفرت حفرت

(حنّت) يديها، حفرت حفرت،

حنّت رجليها نظرت إلى ربها

كحّل عينيها راحت للأمير

أعطاها فستان حرير

لا يهتم الطفل في البداية بالمعاني ويقبل القصة أو الأغنية كما يسمعها.

ولكنه خلال نموه يبدأ شيئاً فشيئاً في الاستفسار عن معاني الكلمات، وقد يناقش في بعض جوانب القصة أو الأغنية. وتطرب الطفل الجمل والكلمات التي يرد فيها اسمه أو اسم أحد القريبين منه. ويكون هنا من المناسب استبدال اسمه بأحد الأسماء الواردة في النص.

هذا بالنسبة للأطفال في مرحلة ما قبل المدرسة، بحيث تكون وسيلة اتصالهم بالأدب هي اللغة المنطوقة من الكبار بخاصة. ويلخص (غوركي) متعة الاستماع إلى حكايات الجدة في تلك المرحلة المبكرة من الحياة قائلاً في كتابه الشهير (طفولتي):

"أما أنا فكنت أخبّ في أعقابها، وأدب النهار بطوله متعلقاً بأثوابها، إن في

ففي السلسلة الأمريكية كانت الكلمات تتكرر أو تغيب تبعاً لهدف واضح عند الكاتب والناشر، ولكن هذا الهدف كان غائباً عند الناشر والكتاب في السلسلة الصادرة في لبنان.

٦ . ينبغي عدم إثقال العمل الأدبي الموجه للأطفال بالأفكار الفلسفية التي يصعب على الطفل فهمها والتعامل معها. والابتعاد عن الأخيلة البعيدة عن خبراته، وألا تشوب لغته المفردات الوعرة الغريبة، إضافة إلى عدم الإساءة في استخدام الرمز. فكثيرة هي الأعمال والنصوص الأدبية التي ينتجها المبدعون للأطفال دون أن يدققوا فيها، أو يحسبوا نتائجها.

فلا تغذي العاطفة الجمالية في الطفل، قارئاً كان، أم مشاهداً ، أم مستمعاً، ولا تذكي خياله.

٢ ـ أدب الأطفال ومشكلات الأهداف:

إذا كانت مسألة الالتزام والأدب الملتزم قد غطت مساحة ليست بالبسيطة من المناقشات والأعمال النقدية في مجال الأدب بعامة، واتخذت لها أسماء ومسميات كثيرة، وتنازعتها ـ مدارس ونظريات أدبية ونقدية عامة وخاصة، فإن النظر في الآثار التي يتركها النص الأدبي الموجه للطفل يستحق الكثير من التدقيق والنظر والتأمل. وسيظل الكلام عن أهمية مرحلة الطفولة وحساسيتها والآثار التي تتركها خبرات الإنسان في هذه المرحلة على بقية مراحل حياته مشروعاً. وفيما نحن بصدده فإنه يستحيل ـ على نحو ما أعتقد ـ أن تكون المادة الأدبية المقدمة للطفل أو للراشد تنتج عنها مخرجات تؤدي إلى تعديل سلوك المتلقي أو إلى تكوين نمط سلوكي ما عنده.

وأدب الأطفال من حيث كونه أداة تثقيفية موجهة إلى فئة ، أو فئات عمرية محددة لا يُحتمل التهاون معه في مسألة الالتزام أو الانطلاق من أهداف واضحة ذات صلة شديدة بأهداف وأغراض التربية العامة التي تحددها بشكل ما فلسفة المجتمع الذي تنتمي إليه.

على أن يحتفظ بجماليته النوعية وفنيته بعيداً عن التقريرية والمباشرة. وهذا يعني ألا يستسلم المبدع لخيالات عبثية أو عدمية، يهبط بالمادة الإبداعية إلى دغدغة الغرائز الأولية، ويثير الشهوات الرخيصة في القارئ.

لذلك فإن الحديث عن أهداف لأدب الأطفال لا يرسم حدوداً وخصائص لهذه الأهداف، بل يبرزها دون تحديد قسري لها. يرسم ملامحها داخل ثلاثة أطر ليست

ففي السلسلة الأمريكية كانت الكلمات تتكرر أو تغيب تبعاً لهدف واضح عند الكاتب والناشر، ولكن هذا الهدف كان غائباً عند الناشر والكتاب في السلسلة الصادرة في لبنان.

٦ . ينبغي عدم إثقال العمل الأدبي الموجه للأطفال بالأفكار الفلسفية التي يصعب على الطفل فهمها والتعامل معها. والابتعاد عن الأخيلة البعيدة عن خبراته، وألا تشوب لغته المفردات الوعرة الغريبة، إضافة إلى عدم الإساءة في استخدام الرمز. فكثيرة هي الأعمال والنصوص الأدبية التي ينتجها المبدعون للأطفال دون أن يدققوا فيها، أو يحسبوا نتائجها.

فلا تغذي العاطفة الجمالية في الطفل، قارئاً كان، أم مشاهداً ، أم مستمعاً، ولا تذكي خياله.

٢ ـ أدب الأطفال ومشكلات الأهداف:

إذا كانت مسألة الالتزام والأدب الملتزم قد غطت مساحة ليست بالبسيطة من المناقشات والأعمال النقدية في مجال الأدب بعامة، واتخذت لها أسماء ومسميات كثيرة، وتنازعتها ـ مدارس ونظريات أدبية ونقدية عامة وخاصة، فإن النظر في الآثار التي يتركها النص الأدبي الموجه للطفل يستحق الكثير من التدقيق والنظر والتأمل. وسيظل الكلام عن أهمية مرحلة الطفولة وحساسيتها والآثار التي تتركها خبرات الإنسان في هذه المرحلة على بقية مراحل حياته مشروعاً. وفيما نحن بصدده فإنه يستحيل ـ على نحو ما أعتقد ـ أن تكون المادة الأدبية المقدمة للطفل أو للراشد تنتج عنها مخرجات تؤدي إلى تعديل سلوك المتلقي أو إلى تكوين نمط سلوكي ما عنده.

وأدب الأطفال من حيث كونه أداة تثقيفية موجهة إلى فئة ،أو فئات عمرية محددة لا يُحتمل التهاون معه في مسألة الالتزام أو الانطلاق من أهداف واضحة ذات صلة شديدة بأهداف وأغراض التربية العامة التي تحددها بشكل ما فلسفة المجتمع الذي تنتمي إليه.

على أن يحتفظ بجماليته النوعية وفنيته بعيداً عن التقريرية والمباشرة. وهذا يعني ألا يستسلم المبدع لخيالات عبثية أو عدمية، يهبط بالمادة الإبداعية إلى دغدغة الغرائز الأولية، ويثير الشهوات الرخيصة في القارئ.

لذلك فإن الحديث عن أهداف لأدب الأطفال لا يرسم حدوداً وخصائص لهذه الأهداف، بل يبرزها دون تحديد قسري لها. يرسم ملامحها داخل ثلاثة أطر ليست

مفصولة عن بعضها، إنما هي متداخلة بحيث يكون من الضروري بعد الحديث عنها العودة للكلام عن تكاملها وتداخلها.

(١) أطر معرفية:

نعني بذلك أن يهدف النص الأدبي إلى زيادة معلومات القارئ ومعارفه، وتصحيح المعارف والمعلومات القديمة لديه، بحيث تنمو لديه مفاهيم جديدة أو تصبح المفاهيم القديمة عنده أكثر وضوحاً ودقة. بهذا يفتح النص الأدبي عيني الطفل على الحياة، أو أنه يفتح أمامه نافذة أو نوافذ جديدة يطلّ من خلالها على الكون فيزداد وعيه به، فلا يبقى أسير عالمه الخاص وتجربته الشخصية.

لكن ذلك ـ بطبيعة الحال ـ لا يسوّغ للكاتب المبدع أن يحّول نصه إلى درس في مادة العلوم أو التاريخ أو الجغرافية، بحيث تحشر فيه المعلومات حشراً، وتلقن المعرفة من خلاله تلقيناً.

فليس مطلوباً أن يحمّل النص الأدبي ما لا يستطيع أن يحمل، أو أن يثقل بالمعلومات على حساب العنصر الجمالي والمتعة فيه.

وتأتي المعرفة بشكل بعيد عن التقريرية تنساب داخل النص انسياباً، فلا تنازل عن العنصر الجمالي والمتعة النفسية. وعلى أي حال لا يشكل العنصر المعرفي إلا جانباً محدوداً من جوانب تقويم النص وقياسه، مع الأخذ بعين الاعتبار الفرق بين نص موجه أصلاً لطفل في الخامسة أو السادسة ولنص آخر لطفل في سن أكبر.

لننظر إلى نص موجه لطفل في السنة السادسة من عمره. ولآخر لطفل في الثامنة أو التاسعة، مميزين بين ما ينطوي عليه الأول من معلومة بسيطة سهلة على الطفل، وما يحويه الآخر من معلومات أوسع شيئاً ما مما ورد في النص الأول.

١ ـ الثعلب والطبل(٣٠)

كان الثعلب واقفاً في البستان.

شاهد طبلاً كبيراً.

قال الثعلب في الطبل لحم لذيذ.

شقّ الثعلب الطبل، فوجده فارغاً.

---

(٣٠) النص مأخوذ من كتاب القراءة الجزء الثاني لطلاب الصف الأول الابتدائي. ص٤٦ .

٢ ـ الأطفال والثلج

علم ملك الشتاء أن الأطفال لا يلعبون خلال فصل الشتاء إلا قليلاً.
امتلأت ملاعبهم بالطين، وغمرتها المياه.
حزن ملك الشتاء وقال:
يجب أن يخرج الأطفال للعب واللهو. الملاعب تشتاق إليهم.
وأمر الغيوم أن تسقط الثلج بدلاً من المطر.
أخذ الثلج يتساقط على الأرض غطت رقع الثلج الأرض وأغصان الأشجار. واكتسبت الشوراع وأسطحة المنازل والسهول ثوباً أبيض ناصعاً وجميلاً.
خرج الأطفال جماعات إلى الباحات والملاعب، يمرحون ويلعبون.
تراشقوا بكرات الثلج، وصنعوا التماثيل المختلفة الحجوم والأشكال.
مالبث الثلج أن أخذ بالذوبان. عادت المياه تغمر أماكن اللعب. سالت السواقي والوديان، وخلعت الأشياء ثوبها الأبيض.
لاحظت المعلمة الحزن على وجوه الأطفال وهم يودّعون الثلج الجميل.
سألت المعلمة: لماذا يذوب الثلج؟
فكّر الأطفال ملياً. استأذن رامي، وأجاب:
عندما ترتفع حرارة الجو يذوب الثلج ويعود ماء، يروي الأشجار ويفجر الينابيع، ويعد الطبيعة بثوب أخضر توشيه الأزهار من كل لون.
ابتسم الأطفال، وصاروا ينتظرون قدوم فصل الربيع، ويشكرون الشتاء لأنه فصل الخير والكرم والعطاء.

(٢)ـ أطر مهارية:

تتعلق بتنمية مهارات حسية حركية لدى الطفل ومهارات عقلية، لعل أهمها هو تنمية مهارة القراءة، ومهارات التفكير والمحاكمة والاستدلال والتحليل والتركيب. النص الأدبي يوجه الطفل لتكوين اتجاهات سليمة وإيجابية نحو العمل وتنظيم الجهد والوقت. ويحبب بمهارات مرغوبة كالمطالعة والرسم والسباحة وصنع الأشياء...

وهذا لا يعني أن يكون النص توجيهات وتعليمات لإتقان عمل ما، أو إنجازه، بل يحتوي على تلميحات بالمهارة المرغوب توجيه الأطفال إليها من خلال متابعة

(*) . النصوص التي لم يرد اسم كاتبها أو مصدرها هي من إبداع الكاتب نشر بعضها في صفحة الطفل العربي بجريدة (البعث) في أثناء العام الدولي للطفل.

الحدث، أو إضفاء نوع من المتعة أو إدخال عنصر جمالي تذوقي تغدو معه المهارة مرغوبة، وتحث الطفل على تعلمها.

الرسام الصغير

قرأ حسام عن الديك الذي رسم شمساً، والدب الذي صنع جرة ملأها النحل بالعسل. وأقبل على محفظته يخرج منها قلماً وألواناً ودفتراً..رسم على الدفتر خطوطاً بقلم الرصاص خفيفة. لم يخرج الممحاة لأنه لن يحتاج إليها. تكاملت الخطوط صارت عصفوراً له منقار جميل وعينان صغيرتان وريش يختلف عند الذيل عما هو عند البطن ومشابه لريش الجناحين. اكتسى العصفور ريشاً. صفق بجناحيه، وطار في الفضاء مغرداً وهو يقول: مرحى للرسام الصغير.

(٣)- أطر وجدانية وانفعالية:

يرمي النص الأدبي من خلال هذ الأطر إلى مراعاة حاجات ومطالب النمو عند الطفل في تكوين استجابات إيجابية تعبر عن قيم أخلاقية واجتماعية تسهم في نضج انفعالاته ونموها نمواً سليماً، بعيداً عن لغة الوعظ والخطابة.

ينشد الطفل نشيد الفلاح، ومن خلال ذلك يكتسب اتجاهاً إيجابياً يمجد العمل ويقدره تقديراً سليماً وهو يغني مع (سليمان العيسى):

القبلة الأولى من الصباح لجبهة الفلاح
لمعول الفلاح لساعد الفلاح

وينشد معه للوطن، فتنمو بذور انتمائه للوطن وحبه له، من خلال مفردات تفصح عن مفهوم الوطن بعيداً عن الإرشاد والتجريد المملين:

وطني أشجار وظلال وترابي قمح وغلال
أتفيأ ظلك يا وطني أرض الأجداد وطن الأمجاد.

وفي القصة التالية نوع من الترغيب في العمل وتكوين اتجاه إيجابي نحوه باعتباره قيمة أخلاقية مطلوبة.

النجار(٣١)

بنى النجار كثيراً من البيوت الخشبية. دون أن يتلقى على ذلك أجراً. أحب عمله كثيراً. كان

(٣١) الأرنب يربي السمك: ترجمها عن الروسية . كرم رستم . منشورات وزارة الثقافة.

يحب أن يعيش الجميع في بيوت دافئة آمنة. ذات يوم خشي أن يناله التعب. فقال له جاره: حبذا لو تناولت بعض الطعام. أجاب: العمل أشهى لدي من الطعام.

ـ حبذا لو شربت بعض الماء. اجاب: العمل أشهى لدي من الماء.

ـ حبذا لو تنام قليلاً. أجاب: العمل أحب إلي من النوم.

قام الجار بربط يدي النجار لمنعه من العمل بعض الوقت. لكنه سمع بعد قليل أصواتاً تنبعث من الورشة. أسرع يستطلع الأمر، فرأى مالا يصدق. كانت أدوات النجار تعمل وحدها. أدرك الجار أن ليس بوسعه أن يحول بين النجار الماهر وعمله المحبب، ففك وثاقه، ومايزال النجار يمارس عمله بشغف وحماس.

ونقتطف قصة (أقصوصة) قصيرة توجه إلى موقف التعاطف والتعاون وعرفان الجميل وهي موجهة لطفل السنة السادسة. من كتاب الصف الأول الابتدائي.

الفراشة والوردة

الفراشة صديقة الوردة. شاهدت الفراشة هرّة.

الهرة تركض وراء الفراشة. دخلت الفراشة الوردة.

مدّت الهرة يدها. جرحتها الوردة بشوكها. قالت: الفراشة للوردة: شكراً يا صديقتي.

(٤)ـ تكامل الأطر الثلاثة وتفاعلها:

ليس القصد من الفصل بين إطار وإطار أن يكون النص الواحد داخلاً في أحد هذه الأطر دون غيرها. بل أنّا نجد دون عناء أن النص الواحد يؤدي إلى الأغراض الثلاثة ولكن بتفاوت بين واحد منها وآخر.

النص الأكثر قرباً إلى أهداف التثقيف والتنشئة يتصف بتكامل الأغراض الثلاثة دون افتعال، على أن ذلك لا يكون مطلقاً على حساب الجوانب الجمالية التي تؤدي إلى إشباع الحاجة إلى المتعة عند الطفل، ويتجه إجمالاً إلى إعداد الطفل لتقبل الحياة وأن يكون فيها فاعلاً لا منفعلاً، يستطيع أن يطور علاقته بالبيئة والناس، يتقبل هذا الجانب ويمتلك الأسباب التي تمنحه القوة على تطويع جوانب أخرى. وذلك من خلال فهم يتلخص بأن الحياة ليست سهلة دائماً، وأن الناس الذين نحن على علاقة معهم ليسوا صنفاً من الملائكة، فيهم من نقاط الضعف كما فيهم من القوة.. وأن الطبيعة وأشياءها وطيورها وحيواناتها ليست مطواعة دائماً فهي تارة سهلة على التعامل، وطوراً يبيّت الاقتراب منها لنا خطراً قد يكون مميتاً.

فيكون للعمل الأدبي دوره في أن يفتح عيون الأطفال على بيئتهم ويمدهم بأفضل الأسباب الجاهزة لحل لمشكلات الحياة، بل ينمي البصيرة والقدرة على مناقشة الأمور، والخيال في إطار من المتعة حيناً والإدهاش حيناً آخر.

فقد يعرض النص لمثال سلبي يحاول بشكلٍ ما أن يكوّن لدى المتلقي إستجابة إحجام عن النموذج السيء. ومن الأفضل . نظراً لحساسية مرحلة الطفولة . أن يعرض مقابل المثال السيء نموذجاً آخر إيجابياً بحيث يكّون استجابة إقدام نحو النموذج الثاني مقابل النفور من النموذج الأول. كما في النص التالي:

القبرة والجرذ

أهدت الحمامة يوماً صديقتها القبرة حبة قمح. عند تجوال القبرة بين الحقول، وجدت سنبلتين تركهما الفلاح في حقله للطائر الذي يزوره. حاولت القبرة حمل السنبلتين، لتضع إحداهما في عشها تطعم حباتها الذهبية لفراخها، وتذهب بالأخرى إلى صديقتها الحمامة تقدمها هدية بمناسبة عيد ميلادها.

شاهدها الجرذ، وهي تحاول حملهما. اقترب منها وقال: أيتها القبرة اتركي سنبلة من السنبلتين أعاونك في حملها حيث تشائين.

صدقت القبرة الجرذ، وتركت سنبلة على الأرض وحملت الأخرى وقالت له اتبعني.

أمسك الجرذ بالسنبلة وجرى مسرعاً ليدخل وكره ويغيب عن نظر القبرة، التي أدهشتها فعلة الجرذ وطارت بالسنبلة التي تحملها تقتسمها مع الحمامة. لكنها تعلمت ألا تصدق الجرذ مرة أخرى.

وما دمنا بصدد الأهداف التي تتعامل معها نصوص أدب الأطفال. فمن المستحسن مناقشة مسألة الصلة التي تحدثنا عنها من قبل مع البيئة الاجتماعية، والتي لا تأخذ بمبدأ عزل الطفل عن بيئته واغترابه عن الواقع بحجة عدم حرمانه من الاستمتاع بطفولته.

يجيب (سليمان العيسى) على ذلك في مقابلة أجريت معه:

هل نستطيع أن نعزل الطفل الفلسطيني عن قضيته وهو يستقبل النابالم (وهذا هو اليوم يستقبل الغازات المسيلة للدموع، والرصاص البلاستيكي، والهراوات التي تكسر عظامه . صباح مساء .) كل صباح؟ هل نرسم له عالماً طفولياً يتمتع به أطفال الغرب اليوم كعالم والت ديزني وهو يعيش في شروط غير انسانية أصلاً؟

يواجه الطفل العربي في مختلف أقطار الوطن العربي عدواً شرساً يحاربه منطلقاً من جبهات متعددة، مستهدفاً وجوده، منها الجبهة الثقافية التي يشنها على الإنسان العربي مهما كانت سنه، ومهما كان موقعه، وفي أية أرض هو، من خلال سيل الدعاية الذي يتسلل إلينا عبر قنوات مختلفة. وهو يثقف ناشئته بالسموم والأحقاد

ضد العرب. وتصور كتب التدريس الصهيونية العربي على أنه وحش لا ينتمي للإنسانية وأنه لا أمل في تحضيره أو تمدينه.

نقتطع فيما يلي نصاً من كتاب قراءة لأحد صفوف المرحلة الابتدائية يدرس في مدارس العدو:

"يمسك العرب بطفل جاء لجلب الماء لليهود المحاصرين في القدس. ويضعون المتفجرات في قربته، ويرسلونه إلى ذويه موثوق اليدين، والقربة ملتصقة به، فينفجر الصبي إلى شظايا أمام أعين اليهود. وعندما يسمع العرب الانفجار يرتفع عندهم صوت ضحكات هيسترية".

بمثل هذه النصوص يغذون عقول أطفالهم، يثيرون فيهم الأحقاد والكراهية ضد العرب، ويبرر أحد كتابهم هذا الاتجاه، بقوله:

"إني لا أؤيد فكرة أن الكتاب يجب أن يكون تربوياً. فإذا ما قرأ الانسان كتاباً لطيفاً، وواجهته أزمة عائلية فمن شأنه أن يرتكب جريمة قتل. ثمّ أنّا نعيش فترة مميزة بالتعقيدات مع العرب، بما يمكن أن نصفه بأنه حقل من الدماء. فليس عادلاً أن نحكي للأطفال قصصاً جميلة عن الأزهار، والفراشات، وزيت الزيتون الصافي. سيؤدي ذلك إلى أزمة. سيقرأ الطفل قصصاً عن العصافير، وفجأة هنا حرب، وهناك مخاوف، عندها سيعاني من أزمة ثقة. فهل يجوز لنا أن نخدع أطفالنا؟"..

فما ليس منه بد إذاً أن نحصّن أطفالنا بتثقيف يهيئهم لمعرفة طبيعة هذا العدو وبوسائل إتقاء شره، ورد كيده وعنجهيته.

بعد هذا الاستعراض لأهداف أدب الأطفال الذي نريد منه أن يكون مواكباً لنمو الطفل قادراً على النهوض به ورفعه في جو من المتعة والمعرفة. بعيداً عن جمود العادات والتقاليد، وحيادية الأشياء.

فليس كالأدب ما يحررنا من عنت العادات المتحكمة فينا. ولنصغ إلى (شكلوفسكي) وهو يصف فعالية الفن الذي يعّد الأدب أحد أهم أشكاله قائلاً:

"العادة المتلبسة فينا تلتهم الأشياء والملابس وقطع الأثاث والزوجة وخوف الحرب. أما الفن فموجود ليساعدنا على استعادة الإحساس بالحياة، إنه موجود ليجعلنا نشعر بالأشياء، ليجعل الصخرة صخرية".

ويقدّر الاخرون قيمة الأعمال الأدبية بمعايير مستمدة من عالم الطفل ذاته، وفعالية النصوص التي تجتذبهم. ولا يقدرون قيمة العمل الموجه للأطفال بمعايير مستمدة من عالم الكبار، وتأثرهم بالمادة الأدبية.

تصف (هيلين غاردنر)[٣٢] متعة الأديب وهو يكتب والقارئ أو السامع وهو يقرأ أو يستمع من خلال الصورة التالية:

"الأم تبتدع سواء في المعاني أو العبارات أو الإيماءات والطفل يستجيب. كلاهما قد انطلق من سجن الحاضر. الأم منهمكة تماماً في سردها بأكثر الأساليب حيوية. والطفل كذلك قد نسي مطالبه ورغباته، وقد سيطر عليه حب الاستطلاع، أنه يتعلّم عن طريق أرقى الأساليب وأمتعها، وهو يستمع إلى وصف أفعال وشخصيات قريبة الصلة من تجربته وواقعه، فيقبلها على أنها حقيقة يمكن تصديقها. وبذلك تكون الأم قد خلقت شيئاً خاصاً به يبقى معه مدى العمر".

وشتان بين هذا الذي تحدثت عنه (غاردنر)، وبين ما يغزو عقول أطفالنا من قراءتهم عن سوبرمان، والرجل المطاطي، وأشباههما مما تضخه إلينا وسائل اتصال مشبوهة عن أبطال خارقي العادة مما ينتج عنه في أحسن الأحوال شخصيات يهزّها القلق والاضطراب.

٣ ــ مهارة القراءة وأدب الأطفال:

امتلاك مهارة القراءة يعني انفتاح آفاق رحبة عند صاحبها فهي بحق قفزة نوعية في حياة الانسان يمتلك بوساطتها مفاتيح جديدة للمعرفة، وتتسع مداركه، وتنمو قوة حواسه فتغتني ثقافته كماً وكيفاً.

ويبدأ الاتصال الحقيقي للطفل بأدب الأطفال عندما تنضج لديه هذه المهارة. وإن كانت هذه الصلة، كما سيرد فيما بعد. تبدأ في وقت سابق على ذلك من خلال الكبار، إذ تبدأ الصلة مع أدب منطوق، كما أن النجاحات التكنولوجية التي أحرزتها الإنسانية قد أوجدت نوافذ فعالة تتيح له الاتصال بمصادر ثقافية مختلفة منها أدب الطفل.

ولعله من المفيد التحدث عن بعض الوظائف الهامة للقراءة والتي سيتضح من خلالها الدور الهام لها في عملية تثقيف الطفل.

آ ـ وظائف القراءة وميزاتها:

(٣٢) في مراجعة نور الشريف لكتاب هيلين غاردنر، دفاعاً عن الخيال. عالم الفكر. مجلد ١٦. العدد ٤. ص٢٩٥.

١ . القراءة مظهر انساني راق، يتميز به الإنسان عن المخلوقات الأخرى، وارتباطها بالكتابة قد أحدث قفزة نوعية في حياة الإنسان المعرفية بشكل خاص. تنتقل من خلالهما المعارف من مكان لآخر، ومن جيل إلى جيل. وهي من أهم الوسائل الاتصالية وأكثرها أثراً في حياة البشر..

٢ . القراءة وسيلة وأداة ثقافية عن طريقها تتشكل بعض القيم والاتجاهات، ويتبدل بعضها الآخر كثيراً أو قليلاً، وبذلك تكون لها وظيفة اجتماعية وذلك للدور الذي يمكن أن تقوم به بهدف الحفاظ على المجتمع وتماسكه والعمل على تقدمه وتطوره.

٣ . للقراءة من الناحية الفردية وظيفة نفسية فهي تخفف التوتر والضيق عند الإنسان، بما تنطوي عليه من رياضة للنفس وراحة للفكر.

٤ . تعمل على توسيع آفاق الانسان وانطلاق تفكيره، وتعرفه، واكتشافه لعوالم جديدة. وقد عبّر المخترع الشهير (أديسون) عن أهمية القراءة بقوله:

"بالقراءة قد تعلّمت كلّ شيء"[٣٣]

٥ . تؤدي القراءة وظيفة تربوية وتشخيصية بوساطتها يكتشف المربي بعض العاهات والصعوبات التي يعاني منها الطفل، مما يساعده على تذليلها وتقديم العلاج لها في الوقت المناسب.

٦ . للقراءة وظيفة ترويجية فهي مصدر متعة ولذة حقيقية، ولعل فيما كتبه عنها الكاتب المعروف (عباس محمود عقاد)، خير توضيح لهذه الوظيفة والوظائف الأخرى لها:

"لست أهوى القراءة لأكتب، ولا أهوى القراءة لأزداد عمراً في تقدير الحساب، وإنما أهوى القراءة لأن عندي حياة واحدة في هذه الدنيا، وحياة واحدة لا تكفيني ولا تحرك كل ما في ضميري من بواعث الحركة. القراءة دون غيرها هي التي تعطيني أكثر من حياة في مدى عمر الانسان، لأنها تزيد عن هذه الحياة من ناحية العمل، وإن كانت لا تطيلها بمقدار الحساب.

فكرتك أنت فكرة واحدة. شعورك أنت شعور واحد. خيالك أنت خيال واحد.

فليس قصارى الأمر أن الفكرة تصبح فكرتين، وأن الخيال يصبح خيالين، كلا. إنما تصبح الفكرة بهذا التلاقي مئات الفكر في القوة والعمق والامتداد".[٣٤]

---

(٣٣) عز الدين فراج: فن القراءة . ص٣٤ .

(٣٤) عن مجلة (العربي) (٢٧٨) ص١٢١ .

وإذا تجاوزنا وظائف القراءة، وأهميتها في حياة الانسان فرداً وجماعة، فإنه مما لا شك فيه أن المادة المقروءة، في كتاب، أو في مجلة أو صحيفة، أو في أية وسيلة مكتوبة أخرى، ما تزال لها جاذبيتها، فهي لم تفقد ذلك بسبب من وجود وسائل اتصالية أخرى أكثر إثارة وجذباً، وأغنى بوسائل الترغيب والإغراء. فكل هذه الوسائل لا تغني تماماً عن المادة المقروءة، بل هي رديفة لها تكمل بعض جوانبها، وإن دوام الحاجة للقراءة تأتي من الميزات التي تتمتع بها المادة المقروءة، والتي لا تبزّها بها أية وسيلة أخرى نذكر منها:

١ . يكون القارئ في النشاط القرائي مسيطراً على الموقف، بخلاف كونه مشاهداً أو مستمعاً. فهو يقرأ عندما يريد، أينما يريد، وبالطريقة التي يشاء.

٢ . يتمكن القارئ من تكرار الاطلاع على مادة قرأها سابقاً، كلما شعر بالحاجة إلى ذلك. بينما قد لا تمكنه بعض الوسائل الاتصالية الأخرى من ذلك.

٣ . القراءة تجربة خاصة يمر بها القارئ على انفراد. وأعظم مكافأة ينالها القارئ وهو يتمثل أمام النص، كما تقول (غاردنر)، استيعاب كل ما تتضمنه اللغة المكتوبة من ثروة. فهو يستطيع أن يتوقف أمام الكلمة متى أراد أن يتأمل في معناها أو في استخدامها.

٤ . تدخل المادة المقروءة من الباب، إن صح التعبير، يستطيع أولياء الأمور التحكم بنوع المادةالتي تقدم للطفل، وقد لا يكون ميسوراً ذلك في المواد الاتصالية الأخرى. فعبر الاذاعة التلفاز، كما يقول أحد الكتاب: (يأتي كثير من الزوار المرغوب فيهم، وغير المرغوب فيهم. معلمون رؤساء جمهوريات، قادة، باعة، مومسات، قتلة، أصدقاء.. الخ..)[٣٥]

٤ . تثير المادة المقروءة القارئ. ولا تختلف متعتها عن متعة إنتاج المادة المقروءة نفسه. وقد وصف (ت.س.اليوت) الشعور الذي يغمره عند القراءة بقوله: "الدهشة التامة والنشوة عن تجربة شعر جديدة". وتقول (انجيلا كارتر) في ذلك أيضاً: "قراءة الكتاب هي إعادة كتابة له".

ب ـ فن القراءة وأشكاله:

وتتصل مهارة القراءة بفن القراءة من حيث الآداب التي ينطوي عليها، وأشكاله.

---

(٣٥) جوشوا ميرو ميتر: أطفال كالبالغين، بالغون كالأطفال . مجلة الثقافة العالمية . ترجمة عبد الكريم ناصيف . العدد ٢٢ . ص١٣٢ .

فالقراءة أصناف. منهم من يقرأ في زمن قصير صفحات كثيرة مستوعباً ما قرأ وآخر يفعل الشيء نفسه ولكن فهمه لما يقرأ يكون أقل مما ظهر عند الأول. وقارئ بطيء في قراءته مع تدرج في مستوى الفهم والاستيعاب لما يقرأ.

أما القراءة التي يحتاج إليها المطالع القارئ فهي تلك القراءة الصامتة التي تكتسب كمهارة بالمران والتدريب، بحيث تتصف بالسرعة في الإنجاز، موفرة على من يمتلكها الوقت والجهد.

وأياً كان نوع القراءة، أو شكله، فالقراءة مهارة مكتسبة تكتسب بعملية تدريب وممارسة منظمة، أو غير منظمة. ومن حيث الفائدة لصاحبها ترتبط بأوضاع صحية يتعودها القارئ تتعلق ببعد المادة المقروءة عن عين القارئ، وبالإضاءة التي توفر نوراً كافياً يسهل من النشاط القرائي، وتؤمن شروطاً صحية جيدة.

ويكتسب الإنسان مهارة القراءة وعاداتها على مراحل، ولكن أخطر مرحلة في اكتساب عادات مفيدة هي المرحلة الأولى التي يبتدئ بها الطفل تعلّم هذه المهارة. من هنا تتجلى أهمية الدور، وعظم المسؤولية الملقاة على المربي، واليقظة التي يجب أن يتحلى بها في مساعدة الطفل على التدريب على القراءة بالشكل والوضع الصحيحين، ويوجهه إلى اكتساب هذه المهارة التي تؤدي دوراً وظيفياً هاماً وخطيراً في عملية التثقيف والتنشئة الاجتماعية، لافتاً الانتباه إلى آداب القراءة وفضائلها.

جـ - اكتساب مهارة القراءة ونموها:

إن اكتساب مهارة القراءة عند الإنسان يشكل ضرورة فردية واجتماعية، تتعلق بحاجاته إلى التثقيف والاطلاع والمتعة والتعبير والإبداع.

وقد تطورت النظرة إلى هذه المهارة بتطور الحياة الاجتماعية والاقتصادية، وبنمو وتعاظم المعرفة البشرية، وزيادة الاعتماد على التكنولوجيا والحاجة إليها. ويتعلق تطور النظرة إلى القراءة بتطور مفهوم التعلم من جهة، وتطور تقويم المعرفة ذاتها. فبعد أن كانت المعرفة تقوّم تقويماً أكاديمياً مجرداً، وينظر إليها على أنها أحد أنواع الترف الذي لا يليق إلا لأبناء الفئات الميسورة، فقد أصبح تقويم المعرفة يستند في عصرنا الراهن إلى علاقتها الحميمة بشتى ضروب الحياة واتجاهاتها. بل صار مطلوباً أن تكون هذه المعارف ذات اتجاه وظيفي يهدف إلى تغيير الواقع وتحسينه. وأصبحت المعرفة جزءاً فاعلاً في جملة عمليات وأدوات تطوير المجتمع. وبذلك فإن تعلّم القراءة ليس الآن هدف التعلّم وإنما أصبحت القراءة نفسها هي أداة ووسيلة للتعلّم ذاته.

ويمكن أن نميز في نمو الطفل تطوراً لمراحل اكتساب مهارة القراءة التي ترتبط بنضج العضوية والنمو المعرفي واللغوي. وعلى هذا الأساس فنحن نميز مرحلة ما قبل القراءة، ومرحلة تعلم القراءة الحقيقية عندما تنضج المهارة وتبلغ حدها الأعلى.

١ . مرحلة ما قبل القراءة: وهي المرحلة التي تسبق دخول الطفل المدرسة والتي لا تكون في أثنائها العضوية وجهازالكلام والنمو المعرفي واللغوي، قد بلغا الحد من النضج الذي يسمح بأن يدرب الطفل على اكتساب مهارة القراءة وتعلمها.

فهذه المهارة تقتضي نضجاً حسياً وحركياً يتعلق بنمو القدرة البصرية والعضلية . خاصة العضلات الصغيرة ذات العلاقة بحركة العينين والرقبة وغيرها . وبنمو المدركات واللغة..

ولكن ذلك لا يعني أن الطفل في هذه السنوات، يبقى غريباً عن عالم الأدب . أدب الأطفال . بعيداً عنه. بل أنه يتصل به بوسائل أخرى.

٢ . مرحلة تعلم القراءة: تتوافق هذه المرحلة مع السنوات الأولى في المدرسة الابتدائية. ويكون النضج الجسدي والمعرفي واللغوي قد بلغ مستوى يؤهل الطفل لاكتساب مهارة القراءة والكتابة بالتدريب والمران. فقبل سن الخامسة مثلاً كان من المتعذر أن يميز الطفل بين الحروف الهجائية المختلفة. وبعد ذلك تظهر عنده القدرة على ذلك بوساطة حروف هجائية، وكبيرة وهو في السادسة يقدر على أن يقلدها. وأن يكون كلمة من عدة حروف، وإن كانت طريقة ربطه للحروف مع بعضها غير منسجمة ولا انتظام فيها.[٣٦]

تنمو مهارة القراءة شيئاً فشيئاً تكون، في البداية، بسيطة، ضعيفة، ولكنها تأخذ في التحسن. فتسير من التعثر والضعف إلى الاستقامة والقوة.

٣ . مرحلةالقراءة الحقيقية: وتتوافق مع السنوات الأخيرة للمدرسة الابتدائية. فتكون مهارة القراءة قد أخذت شكلها الذي يغدو بعدها التحسن فيها ضئيلاً. ويفترض أن يصبح الطفل قادراً على القراءة الصحيحة المعبرة. وأن يتقن القراءة الصامتة، ويحقق السرعة المناسبة مع الفهم المطلوب للمادة التي يقرؤها. ومن الأسباب التي تساعد للوصول إلى هذا الحد من الاتقان للمهارة نمو الانتباه الذي يغدو متحللاً من العاطفة إلى حد ما، وأكثر استقراراً.

ولكل مرحلة من المراحل السابقة، النصوص الأدبية المناسبة لها، والتي يستند عند

---

(٣٦) مصطفى فهمي: سيكولوجية الطفولة والمراهقة . ص٩٧ .

اعتمادها كمادة أدبية صالحة للطفل إلى عمليات نمائية أخرى كالنمو التخيلي والمعرفي واللغوي...

(٤) كتب أدب الأطفال:

تشكل المطبوعة أهم مادة اتصالية في مجال أدب الأطفال وتشمل المطبوعة كلاً من الكتاب والصحيفة والمجلة.

وثمة في الوطن العربي دور نشر ومؤسسات ثقافية رسمية وشعبية تهتم بالمطبوعة التي تعنى بأدب الأطفال بدرجة أوبأخرى، وإن كان ذلك ما يزال دون الحد المطلوب. فقلما نجد دار نشر مختصة بأدب الأطفال وتثقيفهم. وإنما تجري الأمور من خلال وظيفة عامة يأتي موضوعاً من خلالها. كما أن معارض كتب الأطفال على الأغلب لا تجري منفصلة عن معارض عامة للكتاب. بينما تنظم في بلدان عديدة أسابيع لكتاب " لطفل في أيام العطل المدرسية، كالعطلة الانتصافية. وتنظم مقابلات بين الأطفال القراء وأحب مؤلفي الكتب عندهم بصورة منتظمة ودورية.

وثمة صورة اخرى في هذا المجال تثيرها الدراسات والإحصائيات التي تقوم بها جهات مختلفة، والتي تتفق على أن نسبة الذين يتخذون القراءة هواية لهم، أو عادة من عاداتهم في بلدان العالم الثالث عامة، وفي الوطن العربي خاصة، نسبة متدنية، ويتضح ذلك بمقارنة عدد النسخ المطبوعة لكتاب ما أو لمجلة ما مما يتعلق بأدب الأطفال وغيره، أو من مجموع الإصدارات في عام ما، مع مثيلاتها في بلدان أخرى.

فما يصدر عن دورالنشر والصحافة من كتب ودوريات يومية وغير يومية في الوطن العربي يشكل مستوى هابطاً جداً. إذا قيس ذلك بأية دولة متقدمة. ويكون البون شاسعاً لدرجة أن يصاب المرء بالدوار. وذلك بطبيعة الحال نتيجة عوامل كثيرة، تتعلق بالظروف الثقافية، وبحالة التخلف والتبعية التى نعيشها، إضافة إلى واقع التجزئة المزري والمهين، وغياب استراتيجية عربية تهتم بعملية النشر والتسويق والتقويم، وتعنى بكتب الأطفال لما لذلك من أثر في منحهم الفرص المناسبة ليتدربوا منذ نعومة أظفارهم، وفي السنوات المبكرة من حياتهم على حب القراءة والكتاب، بحيث يغدو ذلك اتجاها من اتجاهاتهم.

ومن جملة الظروف التي رسمت الصورة البائسة لانتشار الكتاب وإنتاجه نمو

النزعة الاستهلاكية وتفشيها، بحيث صارت من أشد النزعات تحكماً بالسلوك. مما نتج عنها سيادة ثقافة ذات خصائص وسمات تخدمها وتنميها وتؤدي إلى أهدافها، وبرزت على السطح ثقافة المجتمع الاستهلاكي . مجتمع الأثرياء الذين يزدادون ثراء كل يوم، والفقراء الذين يزدادون فقراً. الأثرياء الذين لا يشبعون ولا يعرفون الشبع، والفقراء الذين تطحنهم موجات الغلاء، وندرة السلع الضرورية لهم . وهي ثقافة تخلو من القيم النبيلة اتي ناضلت البشرية طويلاً من أجلها.

ومن السمات البارزة لهذه الثقافة التي أنتجتها منظومة العلاقات الاجتماعية والاقتصادية التي ترسيها المضاربات والمقامرات وعمليات الاحتكار والسمسرة، واللهاث وراء جمع الثروة، وشعار الغاية تبرر الوسيلة كمبدأ لها، وسيطرة المصلحة الخاصة على أية مصلحة أخرى، وتسخير كل ما هو عام - حيث كان ممكناً - لصالح الخاص، واتباع أرخص السبل، وأشدها بعداً عن القيم النبيلة.

ويتجلى كل ذلك في سيادة ثقافة (الشهوات الرخيصة) والتحلل من المثل التي أشادها نضال الشعوب، عبر تاريخها الطويل، من أجل الحرية والسيادة ومقاومة وسائل وأساليب القهر والظلم والاستعباد. فتنطلق الشهوات المكبوتة من عقالها، وتطلب ما يحقق لها الإشباع فلا ترتوي ولا تشعر بالامتلاء، ويغيب الضمير وكل وازع وطني أو قومي أو إنساني. يرتد الانسان إلى حيوانيته، وتعود شريعة الغاب في أزياء مختلفة وبوسائل عصرية أشد فتكاً، وأكثر إيلاماً، وأمضى تدميراً وخراباً. يأكل الإنسان الإنسان، إن لم يكن بأنيابه وأضراسه فبوسائل أشنع، منها ما يؤدي للموت العاجل، ومنها ما يقود إلى الموت البطيء.

ففي مجتمع الاستهلاك، مجتمع الشهوات الرخيصة، يهجر الناس الكتب، وتصبح القراءة والكتابة لديهم ليس أكثر من وسيلة لإحصاء الأرباح، وحساب الفواتير والكمبيالات والأرصدة وكتابة الإعلان عن البضائع والسلع، والتعرف على أمكنة اللهو والعبث، وقراءة أسماء الصالات والفنادق والملاهي والماركات المسجلة.

فأية مهمة صعبة هي مهمة إعداد الطفل لاكتساب مهارة القراءة وتوظيفها في عملية تثقيفه وتنشئته، وجعل الكتاب قريباً له، حبيباً إلى نفسه.

وقد بين حكيم مصري قديم: أهمية الكتاب ومهارة القراءة في تعاليمه الموجهة لابنه بقوله:

"ليتني أستطيع أن أجعلك تحبّ الكتب أكثر مما تحبّ أمك، وليت في استطاعتي أن أبرز لك ما في الكتب من روعة وجمال".

وإنه لمن المؤسف أن نعيش في زمن يغدو فيه الكتاب رفيقاً غير مرغوب فيه من جيل الشباب، وأن يغدو المتابع ومدمن القراءة موضع سخرية أحياناً.

فالعزوف عن الكتاب والقراءة مرده أولاً إلى أن عملية تنمية مهارة القراءة والميول القرائية لم تتم في مرحلة الطفولة. وهناك أسباب أخرى أدت إلى بروز هذه الظاهرة واستفحالها منها:

١.. نمو النزعة الاستهلاكية ـ على نحو ما ورد سابقاً ـ وغزو حضارة الاستهلاك بيوت الناس وعقولهم وبطونهم، وانتشار صرعات المجتمع الرأسمالي وذيوعها على الأخص بين الشباب. فيجد الواحد منهم نفسه محاصراً بالتزامات مادية ونفقات مالية باهظة، ولا تفسح له المجال لشراء الكتب واقتنائها..

٢ . تنامي وسائل الاتصال وتعددها وتنوعها، بالإضافة إلى جاذبيتها وتوافر عنصر التشويق فيها بحيث تبدو أكثر إغراء من الكتاب، وأسهل منالاً.

٣ . غياب المكتبات العامة، أو النقص فيما توفره من كتب، وإعاقتها لعملية الإعارة، وعدم توفيرها على الغالب الفرص للمطالعة في قاعات خاصة بها، على الأخص خارج المدن.

٤ . غلاء الكتاب بحيث أصبحت تسعيرة الكتاب أعلى من طاقة معظم الناس على شرائها. ومع كل ما ذكرنا فثمة ظاهرة تبعث على التفاؤل تتمثل في الإقبال الملحوظ على جناح كتب الأطفال في أي معرض للكتاب من أولياء الأمور ومن الأطفال. تحدو الأولياء الرغبة في مساعدة أبنائهم على تكوين اتجاه إيجابي نحو الكتاب بخاصة والمطبوعة بعامة. وكثيراً ما يتحدث الناس في جلسات خاصة . بعيداً عن غرف المعلمين والمدرسين بل في البيوت، أو حيث تسمح الأمكنة العامة بجلسات ود يتداول فيها الكبار شؤون أطفالهم . في وصف هذه المحلة ونقدها، أو تقويم ذلك الكتاب، ويتحدثون عن نقص في كتب الأطفال.

ومن جانب آخر تبدو هذه الظاهرة المشرقة من خلال تبادل الأطفال للمطبوعة فيما بينهم، وإقبالهم على مكتبات المراكز الثقافية يتطلعون إلى استعارة كتاب أو شرائه منها.

إن علاقة الطفل بالكتاب، إذاً، تحددها جملة عوامل متشابكة منها ما يعود إلى فقر البيئة بالكتاب نفسه ومنها ما هو نتيجة للطريقة التي ينظر فيها الكبار إلى هذه العلاقة.

وتدلنا الملاحظات والمشاهدات، سواء منها العابرة أم المقصودة، أن الطفل منذ السنة الثانية يبدي ميولاً واضحة نحو تلك الأشكال من المعرفة التي توفرها له بعض

القصص والحكايات التي قد تتيحها له ظروف اتصاله بالكبار. ويغبطنا جداً الطفل الذي يستمع بشغف إلى رواية الراوي وهو يقص عليه حكاية بسيطة أو قصة، أو ينشد له أغنية مهما كان طولها..

فإذا أدرجنا مثل هذه الأشياء التي ضربنا عليها بعض الأمثلة من قبل في باب أدب الأطفال لما لها من وظائف في إيقاظ قدرات الطفل واستثمار قابلياته في تكوين شخصيته ونموها. وشغف الطفل بهذه الأشكال يستمر ويظهر في استجاباته إلى التمثيليات والمسرحيات والقصص والمقطوعات الشعرية طيلة سنوات الطفولة. وإن إهمال هذه الميول عند الطفل يؤدي إلى إخمادها ويترك آثاراً على نواحي نموه المختلفة، بخاصة ما يتعلق منها بنموه الانفعالي وفي تشكيل الاتجاهات وتبلور القيم عنده...

وأخطر ما في الأمر أن الكبار ينقلون إلى الأطفال . بصورة مباشرة أو غير مباشرة . ازدراءهم للكتاب. ويحبطون عندهم ميولهم القرائية، ويضيقون ذرعاً بتصرفاتهم، ولا يستجيبون لرغباتهم، أو أنهم يحرفون ميولهم هذه ويشبعونها بوسائل أخرى أسهل تناولاً على الكبار ولا تتطلب منهم جهداً كبيراً لإرضاء الصغار، فيوجهونهم نحو التلفاز مثلاً، أو أنهم لا يقدمون بديلاً فيفتش الطفل عن بديل بنفسه قد يتخذ شكل سلوك تخريبي أو عدواني.

ولربما قال قائل: هل حاجة الطفل للكتاب أهم من حاجته إلىالطعام والشراب؟ في عالم تهدر فيه إنسانية الانسان وتهمل حاجاته. فقبل الحديث عن الحاجة إلى الكتاب أولى بنا البحث عن الطعام للملايين الجوعى في العالم، والثياب والمساكن لأولئك الذين لا يجدون غير العراء مأوى لهم أليس من حق هؤلاء أولاً تأمين ضروريات الحياة؟ لكن ذلك لا يبرر ولا يعني إهمال حاجات الطفل المعرفية والوجدانية، وتنمية ميوله الاستكشافية.

ولا يمكن بحال من الأحوال أن نغمط الكتاب حقه، فهو الوسيلة التي تسهم في تمكين الطفل من مواجهة الحياة، والتعرف إلى الكون، وإلى معرفة مكانته ذاته في هذا العالم، وإثارة دوافعه وقدراته نحو مزيد من المعرفة، ومزيد من الاكتشاف. وباختصار إتاحة الفرصة له (كي يتعلّم أن يتعلّم).

ومن الانتقادات التي توجه للكتاب والمادة المقروءة، بخاصة ما يوجه منها للأطفال نذكر:

١ . يعدّ الكبار المواد كي يقرأها الأطفال، هذا يعني أن المادة المقدمة هي من اختيار الكبار بهدف أن يُوجّه الطفل إلى تبني طرائقهم في العيش وأساليبهم،

وأفكارهم، وقيمهم، وطريقة فهمهم للعالم وإدراكهم له. وفي ذلك خطر على الطفل بسبب أنه ما يزال مجهولاً في الكثير من جوانب تكوينه (فما يزال فهم الطفل مشروعاً قيد الإنجاز) هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن الطفل سيقع نتيجة ذلك فريسة تصورات الكبار عن عالم لا يريدون تغييره، ولكنه رغماً عن ذلك يتطور ويتغير بعيداً عن رغباتهم.

٢ . تتميز لغة القراءة والكتابة بالانفصال الزماني والمكاني عن السياق المباشر، وهذا الانفصال لا يولد لدى القارئ الشعور باستحالة المناقشة والاستفهام عن معاني الجمل والمفردات فحسب، بل يولد لديه أيضاً شعوراً بأن الموضوعات المكتوبة مجردة وبعيدة عن سياقاتها الطبيعية.(٣٧)

٣ . تشكل كتب الأطفال بالنسبة لقدراتهم المحددة على القراءة والاستيعاب . كما يقول (جوشوا ميرويتز) . غيتواً معلوماتياً وعازلاً معاً لأنها تشكل النمط الوحيد من الكتب الذي يستطيع معظم الأطفال قراءته، والذي لا يقرؤه عموماً سوى الأطفال.

وعلى أي حال فإن كل ما سبق لا ينفي فائدة الكتاب ووظائفه التثقيفية. فلا غنى عن القراءة بعامة، وعن قراءة الأدب بخاصة.

فالأدب عمل اجتماعي بالإضافة إلى كونه نتاجاً جمالياً، (وهو أكثر الفنون قدرة على العودة إلى العصور الغابرة والانتقال بمشاعرنا إلى ذلك الزمن، واكتشاف بعض نواح ثابتة في التجربة الانسانية وسط التغيرات في العادات والعقائد والسلوك والنظم السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي نعيش في ظلها. والفائدة ليست للفرد وحده، وإنما للمجتمع الذي يشعر بكيانه ذاته وتماسكه بطريق الأدب).(٣٨)

(٥) الخصائص الواجب توافرها في كتب أدب الأطفال:

الكتاب المعد للطفل، سواء من حيث المحتوى، أو من حيث الشكل، ما يتعلق منه بالغلاف، والطباعة، ونوع الورق، وشكل الحروف والرسومات كلها أمور تراعى بما يتوافق مع المادة الأدبية ومع طبيعة المتلقي دون إهمال للواقع البيئوي للطفل.

وفي تحديد بعض الأسس التي تعد مراعاتها ضرورة لازبة يمكن أن يسهم في وضع أساس صحيح لمستقبل الكتابة للطفل، ولتقويم هذه الكتابة والنهوض بها.

---

(٣٧) بيترو فريدي . كارولين بيكر . كتب الأطفال الأولى . الثقافة العالمية . العدد ٣٣ . ص٧ .

(٣٨) هيلين غاردنر: دفاعاً عن الخيال . مراجعة نور الشريف . عالم الفكر . ع٤ . مجلد ١٦ . ص٢٩٦ .

أولاً ـ أسس عامة:

أ ـ الأسس النفسية:

وهذا يعني ما قد تكرر من قبل من استيعاب طبيعة الطفل والوعي بحاجات هذه المرحلة العمرية ومطالبها.

ب ـ أسس معرفية:

تتعلق بانماء معارف الطفل ومعلوماته، وبخاصة ما تعلق منها ببيئته، والارتقاء بهذه المعارف كلما نما الطفل وبلغ مرحلة أعلى من سابقتها. وطبيعي أن يدرج داخل هذا الإطار نمو المفردات اللغوية، والتراكيب، وسائر عمليات الإثراء اللغوي والمعرفي.

جـ ـ أسس اجتماعية:

أي تلبية متطلبات الحياة الاجتماعية وحاجات المجتمع، وتنمية قيم واتجاهات مرغوبة تعمل على رفع قدرة الطفل في التكيف مع الوسط الاجتماعي والاسهام في تطويره وتنميته، بخاصة ما تعلق منه بالاتجاهات الوطنية والقومية والإنسانية. بالتوافق ـ بالطبع ـ مع مراحل النمو العقلي والنفسي.

د ـ أسس تربوية:

فلا تغيب عن ذهن معدّي كتاب أدب الأطفال ـ تأليفاً وإخراجاً ـ حساسية قارئ هذا الأدب، وقابليته للتأثر بكل ما يصله من مؤثرات ثقافية، وكيلا يقع أدب الأطفال في مطبات ومنزلقات شكلانية جمالية بحتة بعيداً عن المضمون التربوي. فمراعاة عامل التربية والتأهيل ، دون الافتئات طبعاً على العنصر الفني في المادة الأدبية ، مطلوب، وذلك وفق أهداف عامة تحددها النظم التربوية وتبين مجالاتها سواء فيما يتعلق بالنمو المعرفي وفيما يخص الاتجاهات والقيم وكل ما له علاقة بالجانب الوجداني، مع مراعاة تكوين اتجاهات إيجابية نحو مهارات حسية حركية تتبناها شخصيات القصة أو الرواية وأحداثها أو تحبب بها المقطوعات الشعرية والنصوص المسرحية.

هـ ـ تكامل الأسس الاربعة:

تشكل هذه الأسس جميعاً كلاً متكاملاً، فلا فصل ولا انفصال بينها تعمل النصوص الادبية الطفلية على تصويرها في كل متكامل منسجم لا اصطناع فيه ولا خلل.

و ـ اتباع خطة أو منهج في الكتابة للطفل: يستند إلى معطيات تفرضها طبيعة نمو الطفل من الناحية اللغوية والتدرج في التعبير والقدرة على غلق ذاكرة الاتصال التي تنتقل عبرها المادة الأدبية وفقاً للمعطيات التالية:

١ . الإفادة من لغة الطفل الشفوية التي تسبق من حيث ظهورها ممارسة مهارة القراءة واعتماد ذلك أساساً للانطلاق في تنمية القدرة لدى الطفل على الاتصال والتعبير والفهم.

٢ . يراعى في تراكيب الجمل والعبارات السهولة والبعد عن التعقيد والغموض، وأن يفرق بين ذلك وبين الكتابة للكبار.

٣ . تقديم المحادثة كأساس لتعلّم مهارة القراءة في بداية التدريب، وخاصة عند أطفال السنوات السابقة لدخول المرحلة الابتدائية وأطفال السنة الأولى منها.

٤ . تصميم الكتب المعدة لأطفال السنوات الممتدة من الخامسة إلى التاسعة على نحو يساعد الطفل في التدرب على مهارة القراءة بمراعاة الانتقال من البسيط إلى المعقد ومن المشخص إلى المجرد. وذلك من حيث عدد الكلمات في الجملة الواحدة ومن حيث المعاني وطول النص وشكل الحروف وحجمها، إضافة إلى نوع الورق وشكله واستخدام الألوان والصور.

هذا من حيث الأسُس والاتجاهات الرئيسية في الكتابة للأطفال أما من ناحية المادة الأدبية فلا مندوحة عن ذكر ما يجب أن تتمتع به من خصائص جمالية وقدرة على جذب القارئ وتشويقه للتعاطف معها.

ثانياً ـ المادة الأدبية:

آ . تتحدد جاذبية المادة الأدبية وفقاً لمستويات النمو لدى القارئ فما يجذب طفل الحضانة ويكون محبباً إليه، يختلف عما يجذب من هم بين السادسة والتاسعة مثلاً. وهذا بدوره يختلف عما يجذب من هم فوق التاسعة، إضافة إلى وجود فروق فردية داخل كل مستوى نمائي مما ذكر. وتحديد مدى جاذبية النص الأدبي لا يعني وجود معيار موضوعي دقيق تقاس المواد الأدبية وفقه.

ومن المناسب أن نذكر أهمية أن يشار على غلاف الكتاب إلى السن الذي يتناسب مع مادته، بما يسمح لذوي الشأن الاختيار الأفضل لما هو مناسب لأطفالهم. فلا تكفي الإشارة على الغلاف بعبارة (مجموعة قصصية للأطفال) أو (مجموعة قصص للفتيان).

ب . لموضوع اللغة أهمية في كتب الأطفال. وقد وجد على الساحة العربية من يدعو إلى الكتابة للأطفال باللهجات المحكية، متخذاً من اختلاف اللهجات والفقر في الثروة اللغوية عند الطفل حجة لدعوته هذه.

وليس غريباً على أحد خطر مثل ذلك على النتاجات الأدبية للأطفال، والنفاذ من خلال ذلك إلى تحقيق أحلام قديمة تتجدد باستمرار، وتتمثل بالتآمر على الفصحى وفي ذلك ما فيه من مؤامرة على الشخصية القومية للأمة. لغة أدب الأطفال تتقيد بمستوى نمو الطفل اللغوي والمعرفي وهي تؤسس لعملية النهوض باللغة من خلال تنمية الثروة اللغوية بوساطة المفردات السهلة البعيدة عما هجره اللسان العربي وصار بذمة القاموس. لكن هذا لا يعني مطلقاً التساهل في تسريب لهجات محلية وكلمات دارجة في أية لهجة محلية، تكون من ذلك الدخيل على اللغة الأم التي تمثل اللسان العربي.

جـ . تراثنا غني بالمصادر التي تمدنا بالموضوعات المناسبة للنهوض بأدب الأطفال. ولكن من المؤسف أننا نترجم للأروبيين نتاجات أدبية للأطفال هي في الأصل مقتبسات عن (كليلة ودمنة) و(ألف ليلة وليلة). فكأن بضاعتنا تعود إلينا ولكن بعد تشويهها. فلماذا لا يوظف هذا التراث العربي في إنتاج أدب أصيل للطفل العربي، دون جنوح إلى (أسلوب تمجيد الماضي من خلال العبارات الرنانة، دون تجسيد الوقائع والأفكار تجسيداً فنياً)؟ وأن لا ندع تسرب المواقف القاسية. فمن اللازم إبعاد مثل هذه المواقف، وقد يلاحظ المرء أن ما قدم للطفل العربي استناداً إلى التراث العربي المكتوب (قد احتوى على تعبيرات وألفاظ لا يتسع لها قاموس الطفل اللغوي).[٣٩].

إذن إن العمل على وضع مواد قرائية للطفل العربي يمكن أن تمتح من معين لا ينضب مما يقدمه التراث، أو مما تعج به حياتنا المعاصرة من أحداث. لكن ذلك يهون ويحفزنا إليه حب الطفل، والاخلاص للأمة، والنضال من أجل مستقبل أفضل لها يضعها في المكان الصحيح الذي ينبغي أن يتبوأه العرب في تنمية الحضارة الانسانية. والخطوة الأولى في ولوج هذا الباب الرحب من الإبداع، إنما ترسمها محبة اللغة القومية الزاخرة بكل إمكانيات الخلق والابتكار.

---

(٣٩) هادي نعمان الهيتي: م.س ص٢٣٥ .

(٦) مهارة القراءة والمادة المطبوعة:

(نصوص تطبيقية من أدب الأطفال)

تكتسب مهارة القراءة اكتساباً من خلال المران والتدريب والأنشطة التعليمية التعلمية المختلفة. والحديث عن مهارة القراءة يرتبط بالكلمة المطبوعة. ويتدرب الأطفال على هذه المهارة بأساليب وطرائق متنوعة ومختلفة. ويرى بعض المربين في إعراض بعض الأطفال عن عملية القراءة والنفور منها ظاهرة تستوجب النظر إلى أسبابها عند المرابي نفسه إذا كان المتعلّم لا يشكو من إعاقة نفسية أنو عاهة جسدية، أو يعاني من أزمة. في الأسرة، أو في المادة التي تيدرب بوساطتها. ويقود ذلك إلى الحديث عن السن التي يبدأ فيها الطفل القراءة أو يكون مستعداً لتعلمها.

آ ـ يبدي الطفل ـ كما مر معنا من قبل استعداداً لتعلم القراءة في سن تسبق السن التي يسمح له فيها دخول المدرسة. وتساعد الوسائل السمعية البصرية المتاحة للكثير من الأطفال والتي تقتحم البيئة الأسرية على تعلم القراءة من خلال بعض البرامج، كبرنامج افتح يا سمسم، يقرأ الأطفال بعض الكلمات ويتعرفون بعض حروف اللغة.

وفيما يلي وصف لتعلّم قراءة بعض الجمل في كتاب مصور من قبل طفلين في الثالثة (كل على حدة).

يفتح الطفل الكتاب (كتاب صغير مترجم عن الروسية، عنوانه ماذا يرسم هؤلاء). يجد على صفحاته رسوماً تمثل بعض الحيوانات التي يألفها الطفل، أو تجذبه (ديك، دب، عنزة، نحلة) وبعض الأشياء (شمس، برميل، زهرة).

في الصفحة الأولى صورة ملونة تغطي ٨٠٪ من الصفحة لديكٍ أمامه صورة للشمس.تحت الصورة كتبت عبارة (رسم الديك شمساً). الصورة (اللوحة) بكاملها مرسومة باليد. بالطريقة نفسها نجد الصفحة الثانية قد رسم عليها عصافير بيد كل منها فرشاة ترسم بها. وتحت هذه الصورة كتبت الجملة: (ولونت العصافير السماء بالأزرق). وتتابع الجمل، والرسومات فنقرأ في أسفل أحدها: (ورسم الدب برميلاً من العسل ودعا النحل إلى وليمة)..

كان الطفلان يتوجهان بالملاحظة إلى الرسوم.. وحالما ينتهي أحدهما من تأمل اللوحة يتلكأ في النظر إلى الكلمات المكتوبة في الأسفل.. ويتوجه إلى والدته يطلب منها تفسير ذلك فتقرؤه.. ويمضي الطفل إلى اللوحة الثانية فالثالثة وفي كل مرة

يتصرف نفس التصرف تقريباً. ويتكرر النشاط على فترات. وما لبث كل من الطفلين أن بدأ بقراءة جمل الكتاب، جملة جملة، وبفرح غامر.

ويرى بعض المهتمين بقراءات الأطفال واكتساب مهارة القراءة أن اهتمام الطفل بالقراءة والكلمة المكتوبة يبدأ في سن تسبق دخوله المدرسة وهناك فروق فردية في هذا المجال إذ قد نجد طفلاً يبدأ بذلك في سن ثمانية عشر شهراً. بينما نجد آخرين يتأخرون عن ذلك ويبقى بعض الأطفال غير قادرين على التعبير عن اهتمامهم حتى سن الخامسة. ولأن الطفل في مثل هذه السنوات المبكرة من حياته لا يستطيع المحافظة على المطبوعة الموجهة إليه. فقد عمدت بعض دور النشر الأجنبية إلى إعداد كتب من قماش، بحيث تتحمل عبث الطفل، وهي كتب يمكن غسلها وكيها فلا تفقد بريقها ولا تهترئ بسرعة. من الممكن أن يبدأ تدريب الطفل على اكتساب مهارة القراءة وتكوين اتجاهات إيجابية عنده نحو الكتاب في سن مبكرة، وذلك عن طريق القصص المصورة أولاً، ثم تقدم له القصة بحيث تقترن فيها الصورة بجملة مناسبة. وتلعب الألوان والحروف الكبيرة والورق المصقول وحجم الورقة المناسب دوراً مهماً في ترغيب الطفل بالمطبوعة. ويكون محور هذه القصص المصورة عالم الحيوان، أو الطبيعة أو الأشياء، مما هو موجود في بيئته ويتعلق بحاجة من حاجاته.

ب . وتستمر الصور الملونة في تأثيرها في جذب انتباه الطفل، ومساعدته على التعلم بعد دخوله إلى المدرسة، بخاصة في سن السادسة والسابعة. ولكنه في هاتين السنتين تتاح له الفرصة لتعلم مهارة القراءة بصورة منتظمة ومنظمة. فتقدم له نصوص القراءة في جمل قصيرة تتعلق بما يهتم به، أو بما له علاقة بحاجاته واهتماماته. ومن المفضل أن تتاح له ملاحق لكتاب القراءة المدرسي، على شكل كتيبات مصورة بالألوان، يعود إليها خارج أوقات الدراسة، ليتعوّد الارتباط بالكتاب، والقراءة في أوقات الفراغ يدعم بذلك تعلمه المدرسي. أو قد تتضمن تلك الكتيبات ألعاباً على شكل تراكيب كلمات، أو تحليلها. من الأمثلة على الوسائل والأنشطة اللاصفية التي اتبعتها معلمة في تدريب أطفال صفها ـ الصف الأول ـ على مهارة القراءة، البحث في أوراق الصحف والمجلات والكتب القديمة عن حرف تعلمه الطفل حديثاً فيرسم دائرة حوله، أو قصّه وإلصاقه على الدفتر المدرسي. وقد شاهدت أحد تلاميذ هذه المعلمة يفتش في مزق من الأوراق التي يستخدمها (السمّان) لصّر البزر عن الحرف المطلوب لقصه واستخدامه في تنفيذ ما تطلبه المعلمة فيما بعد.

هذا على مستوى التعلّم النظامي. أما خارج ذلك فإنه من الجميل أن تعدّ مواد أدبية مما يدخل في مجال أدب الأطفال في كتاب صغير مزين بالرسوم والصور يكون

مخصصاً لأطفال السنة السادسة والسابعة.حيث يتضمن الكتاب بعض القصص القصيرة التي لا تتجاوز عشر جمل على نحو القصة التالية:

هيا والفراشة

وقفت فراشة جميلة على سيارة هيا. دفعت هيا السيارة الصغيرة.
صارت السيارة تروح وتجيء. والفراشة مسرورة على ظهر السيارة.
شاهدت الفراشة دفتر هيا. طارت تقفز من
زهرة إلى زهرة. عادت بعد وقت قصير ووقفت على دفتر هيا.
لونت الفراشة الدفتر بالأزرق والأحمر والأصفر والأخضر.
شكرت هيا صديقتها الفراشة، وعادت تلعب بسيارتها الصغيرة.

وفي هذه السن يراعى ما يتميز به اهتمام الطفل من ميل إلى الأشياء، والحوادث التي يراها كما يريدها هو، لا كما هي عليه في الواقع.

والموضوعات التي تحويها هذه الكتب لا يستحسن فيها التعقيد والغموض، وإنما البساطة والوضوح وأن تتضمن من خلال الاستجابات التي تنجم عنها عند الأطفال بعض القيم والاتجاهات المرغوبة، بعيداً عن أجواء الخوف والإحباط التي تنهك الطفل وتفزعه من خلال ما تحدثه من توتر وقلق. وهذا يعني أن يقلع الرواة والكتاب ـ إن وجدوا ـ عن الأحاديث عن عالم الجنية والغول وما شابههما. وإضافة للقصص القصيرة المناسبة يمكن أن تخص أطفال هاتين السنتين بمقطوعات شعرية قصيرة قابلة للغناء والإنشاد، وبمسرحيات قصيرة تشتمل على حوارات محدودة وأن يكون كل من القصة والنشيد والمسرحية مكتوباً بالفصحى وبعبارات ومفردات مفهومة من قبل الطفل، وأن يجري من خلالها تكوين اتجاهات إيجابية نحوالوالدين والوطن.

جـ . وشيئاً فشيئاً بوصول القراءة لدى الطفل إلى مستوى يمكنه من إتقان القراءة في الثامنة والتاسعة من عمره، يصبح الأهل والمعلمون نماذج يكرر الأطفال بعض الاستجابات التي يلاحظونها عندهم. فحب القراءة أو العزوف عنها هو نتيجة، في جزء ليس باليسير، لما يبدو في سلوك الراشدين نحوها. وفي كل الأحوال فإن طفل هذه السن يصبح قادراً على قراءة نصوص، تكون قصيرة في البدء، ثم طويلة إلى حد ما. وكل هذا مرتبط بمستوى مهارة القراءة، ونمو الانتباه عند الطفل، والنمو المعرفي واللغوي، ومستوى المادة الأدبية. ولأن الطفل يكون ـ تقريباً ـ قد تخلص من حالة التمركز حول الذات، وبدأ بالتوجه خارج ذاته، تنمو لديه العلاقات الاجتماعية، فيصبح واقعاً تحت سيل من المثيرات المتنوعة الأشكال والقوة فتتنوع استجاباته. وهنا

تظهر أهمية المادة الأدبية، وقدرتها على جذب الطفل نحوها. كما أن الإخراج المطبوعة أثره الذي لا يستهان به أيضاً في هذا المجال. ومن استقراء حالات قرائية عند الأطفال يمكن أن نستدل على أن ما يشوق الطفل هو تلك الموضوعات أو النتاجات الأدبية التي تتناول البيئة وأشياءها بالوصف، والتي تكون حيوانات البيئة ونباتاتها شخصياتها، ودائماً بلغة مناسبة.

صدرت مجموعات قصصية كثيرة تتقيد قليلاً أو كثيراً بما ذكر. فعلى سبيل المثال مجموعة (لماذا حزنت العصافير)[40] وهي مجموعة مؤلفة من ٦٥ صفحة من القطع الصغير. وتضم عشرة قصص. نجدها قريبة من طفل هذه المرحلة وهي تتخذ شخوصها من بيئته الطفل أو مما يدخل في خبرات ويحاول الكاتب أن يضمن قصصه تلك قيماً تتمثل بالتضحية والاعتماد على النفس، الجد والعمل. ونختار من مجموعة قصصية أخرى بعنوان (أصدقاء النهر)[41]، القصة التالية:

وقف العصفور يروي على أصدقائه قصته فقال:

أنا عصفور صغير، نزحت مع أسرتي من عشنا، هرباً من الأعداء. بكيت قليلاً، ثم استأجرت حماراً ورحت أبحث عن الأسرة في كل مكان في أرض الوطن. قيل لي أنها هاجرت إلى الشمال، وقيل أنها رحلت إلى الجنوب، وقيل أنها هربت إلى الشرق.. أخيراً قالوا أنها استقلت مركباً شراعياً وسافرت إلى بقعة نائية في الغرب. سألت صديقي:

لو كنت مكاني ماذا تفعل؟

قال: أنا حمار. ومن يصغي إلى نصيحة حمار في هذا الزمن البائس؟

قلت: أنا.

قال: عد إلى عشك الذي ولدت فيه. حصنه جيداً. وروّض نفسك على أن تحيا فيه. قاوم الأعداء قدر ما تستطيع. وإذا اغتالوك حسبك فخاراً أنك متّ في عشك.

إيجابيات هذه القصة كثيرة فهي من ناحية الشكل تمتاز بقصر الجملة وعناية الكاتب بأدوات الترقيم، واختيار شخوصها (الحمار، العصفور) من حيوانات البيئة. إضافة إلى عناية الكاتب بإثراء لغة القارئ بمفردات ومترادفات) مثل: (هاجرت، رحلت، سافرت.. الخ).

أما من ناحية المضمون ففيها تشويق لاتجاهات إيجابية، مثل حب الوطن، التمسك

---

(٤٠) نزار نجار: لماذا حزنت العصافير . منشورات اتحاد الكتاب العرب . دمشق ١٩٧٩ .

(٤١) عادل أبو شنب: أصدقاء النهر . دار المسيرة . بيروت ١٩٧٩ .

بالأرض ولا يأتي ذلك مقحماً، بل يحافظ على فنية القص إلى حد كبير، فأي سن يمكن مخاطبتها بهذه القيم؟ ونأتي إلى مثال آخر مما يتناسب مع هذه السن (الثامنة والتاسعة، وربما السابعة والسادسة).

حكاية النهر الصغير[٤٢]

قال زيدون للنهر الصغير
إلى أين تذهب يا نهر كل مساء؟
هز النهر الصغير رأسه قائلاً:
إنني عائد إلى وطني البحر.
وذات يوم جاء رجل إلي وقال غاضباً:
سأمنع رحيلك.
وضع الرجل صخرة ثقيلة في مجراي.
توقفت عن الحركة، وغضبت.
حزنت وحزنت الأشجار والعصافير.
أسرعت إلى نهر صغير آخر. ووضعت
يدي في يده. أصبحنا نهراً واحداً
أزحنا الصخرة من المجري. وعدت إلى
بحري أغني.

هذه القصة كسابقتها تمتاز بقصر الجملة ووضوح العبارة. ولكن كيف للطفل أن يصدق هذه الجملة (أسرعت إلى نهر صغير آخر)؟ وقد حدث أن ضحك طفل سألته أن يصف لي شعوره عن هذه القصة قائلا: (قال النهر راح لعند نهر ثاني، كيف؟) فلو جاءت الجملة الثانية (ورحنا إلى البحر نغني)، أعتقد أن السياق يصبح أكثر ترابطاً وانسجاماً.

إذا كانت القصتان السابقتان مناسبتين من حيث الشكل لأطفال السنوات المذكورة، لكن القيمة التي تحاول كل منهما إيصالها للقارئ هي في رأيي أعلى من المستوى الإدراكي للطفل المذكور. ولنلاحظ الفرق في ذلك مع القيمة التي تحث عليها القصّة التالية:

---

(٤٢) فيصل الحجلي: النهر الصغير . مجموعة قصصية . وزارة الثقافة . دمشق ١٩٨٣ .

العصافير[43]

حامد رجل نشيط عنده حديقة صغيرة. يزرع حديقته بالورود والأزهار. تسكن في الحديقة جماعة من الفراشات. يأتي لزيارتها كل يوم سرب من العصافير.ذات يوم، لاحظ حامد أن الفراشات لا تمرح كعادتها.ولم يسمع زقزقة العصافير تجول في الحديقة. أخذ بمداعبة الفراشات فلم تستجب له. تعجب حامد،وسأل نفسه: أين ذهبت العصافير؟ ولماذا لا تمرح الفراشات كعادتها؟ قرب نبتة الزنبق البيضاء رأى العصفور الصغير ميتاً. سأل الفراشات: ماذا حصل في الحديقة؟ أجابته أم الفراشات: الولد الشقي دخل الحديقة ورمى العصفور بحجر على رأسه. قال حامد: اذهبي ونادي العصافير. منذ الآن سأجعل للحديقة سوراً وباباً، فلا يدخلها الأشقياء.

د . في سنوات الطفولة المتأخرة (العاشرة، الحادية عشرة، الثانية عشرة). ينمو خيال الطفل كيفاً وكماً، وتنمو حصيلته اللغوية وخبراته، ويتسع أفقه ويغني بالمفاهيم التي تبدأ في الوضوح والاستقرار إلى حد ما. وتتنامى معارفه ومعلوماته. كما أن اتجاهاته العاطفية والاجتماعية تبدأ بالتبلور، ويصبح تغييرها أو تعديلها أقل مما كان يحدث في السنوات السابقة لأنها تستمر وقتاً أطول ولا يحصل التبديل إلا بعد اكتشاف الطفل لخطأ في خبراته السابقة أو في تجربته، وبعد فحص وتدقيق، ينمو مفهوما الزمان والمكان بحيث يساعده ذلك على الفهم والاستيعاب وتحديد المفاهيم الأخرى، واستخلاص النتائج من التجارب التي تمر معه. كما تظهر عنده بوادر النقد المنهجي نتيجة لنمو قدرته على المحاكمة فيبدي شكوكاً ببعض الأفكار التي تعرض عليه، وبالموضوعات التي يقرؤها.

ولنضج مهارته القرائية يصبح قادراً على قراءة نصوص طويلة . قصة طويلة أو رواية، ونص شعري أكثر طولاً مما كان عليه في السنوات السابقة. فلا تعوزه القدرة على ربط الأحداث، وإدراك تسلسلها، بخاصة وقد نما خياله إلى حد يساعده على تكوين مفاهيم مجردة وإدراك ما تنطوي عليه من معانٍ، وبذلك فإن رواية أحداث تستثير المشاعر الوطنية تبدو مقبولة ومثيرة له.

إن خصائص هذه الفترة من حياة الطفل التي جرى التلميح لها أعلاه تلقي تبعات ومسؤوليات إضافية على عمل المبدعين في مجال أدب الأطفال، الذي يجري تقويمه في هذه المرحلة وفق معيار يتعلق أساساً بمسألة اكتساب القيم والاتجاهات. وتكوّن

(43) اسماعيل الملحم: العصافير . قصة للأطفال . البعث . العدد ٥٢٣٧ . ص٩ .

القيم والاتجاهات يتعلق بالنضج الجسمي والانفعالي من جهة، ومن جهة ثانية هو نتاج لعمليات التنشئة والتربية التي ينبغي لأدب الأطفال كيما يكون له دور تثقيفي وظيفي أن يكسب الطفل خبرات تحدد سلوكه وتعلّمه تلك المعايير التي يحكم بوساطتها على سلوكه ذاته، كما يحكم على سلوك الآخرين، ويضع تبعاً لها المستوى القيمي الذي يطمح لتحقيقه، بحيث تكتسب المعايير لديه تعبّر عن الكمال السلوكي الذي يرتبط بتصوره عن المثل الأعلى والقيمة التي يعبّر عنها.

نقتطع من قصة طويلة بعنوان (رسالة إلى ولدي)(٤٤) كتبها سعيد أبو الحسن بعض المقاطع التي تشير إلى النوع من الأدب الذي نعده صالحاً ومفيداً لهذه المرحلة العمرية: "لن نصارع الطيارين المعتدين، وقد أصبح كل منا جزءاً من طيارته كأنه قطعة معدنية... يتفادى هجمات العدو، يناور يلتف.. الحدث هنا فيه إثارة، وحركته فيها تنوع وهو مما يثير الطفل ويجذب انتباهه، ويتابع القاص وصف أمكنة الحدث فينتقل من وصف الطيار وهو يصارع العدو ويواجه طائراته إلى وصف الإيوان الذي بنى فيه زوجا السنونو عشّهما.

"وكان لبيتنا ـ مثل سائر بيوت القرية ـ ضيوف من السنونو. كان يحل لدينا زوجان قد أقاما عشّهما بين خشبتين من سقف الإيوان. وللإيوان بوابة واسعة تؤدي إلى خارج الدار، وله بابه الداخلي المفضي إلى أرض الدار".

ثم ينتقل بعد ذلك واصفاً تعاون الزوجين في بناء العشّ وتنظيمه وترميمه:

"وإذا العش جاهز لاستقبال البيض ثم الفراخ. جميلٌ أملس من الخارج، دافئ ونير الداخل، كأحسن غرفة نوم يعّدها زوجان من البشر".

ثم يصف مداهمة أفعى للعش تحاول التهام الفراخ.

"ولكن هذه الحية التي تداهم العش زاحفة على خشب السقف. لم نكن نتوقع رؤيتها هناك... وعلى صراخ الزوجين وفراخهما، أخذت تفد أعداد من طيور السنونو المعششة في البيوت المجاورة..هبّت للمشاركة في رد الخطر.. إنها إذا تركت الحيّة تنتصر، فسوف يدفعها ذلك إلى مهاجمة الاعشاش الأخري".

وتستمر القصّة في وصف المعركة بين السنونو والحيّة، ووصف القطط التي تنتهز الفرصة، إنها تنتظر سقوط أحد المتحاربين تتخذه طعاماً لها.

بعد ذلك ينعطف القاص ليسرد لنا على لسان الوالد في رسالته إلى ولده ليقول

---

(٤٤) قصة سعيد أبي الحسن: رسالة إلى ولدي. منشورات الطلائع. دمشق ١٩٧٨.

له؟ إن معركة السنونو مع الأفعى جعله يحزم أمره وينتسب للكلية الجوية ويصبح طياراً:

"ولهذا تراني الآن طياراً، وقد عرفت كيف تصرفتُ ورفاقي في حرب تشرين المشرفة.. وأن أرى كيف طبقنا درس معركة السنونو والأفعى الذي لا ينسى"

هذه القصة مع بعض الرسوم فيها تغطي مساحة كتيب من القطع الصغير يشغل عشرين صفحة، تتعدد الصور فيها، ولكنها تنشد جميعاً مع بعضها في الخيط الذي يشكل رسالة الطيار إلى ولده. يتضافر فيها الهدف المعرفي (وصف الإيوان، بناء العش، صفات الأفعى والقطة)، مع الهدف القيمي حيث يجري الاهتمام وتنصب الإثارة باتجاه تشكيل قيم محبة الوطن، التضحية في سبيله، بتآزر وانسجام مع التأكيد على قيم التعاون ورفض الاستكانة للعدو.

أما القصة الثانية (الرواية). التي تحمل عنوان الرسالة الزرقاء. والتي كتبها فيصل الحجلي فهي تصب في اتجاه القيم التي اهتمت بها قصة (رسالة إلى ولدي) محبة الوطن بشكل خاص.تكاد الرواية أن تكون نبوءة بما يمكن أن يفعله الأطفال والفتيان العزل من أي سلاح في المشاركة بالعمل الثوري، بل وبالتخطيط أحياناً لبعض العمليات الثورية. تكاد الرواية أن تكون نبوءة بانتفاضة الأرض المحتلة حيث كان الأطفال والفتيان أدوات فاعلة فيها، سلاحهم وعي سبق مرحلة نضج الوعي عند من هو في سنهم في أمكنة أخرى وأزمنة أخرى، ومحبة للوطن.صدرت الرواية قبل عام من اندلاع ثورة الحجارة في كانون الأول ١٩٨٧).

وهي إذ تراعي خصائص مرحلةالمراهقة أساساً، إلا أنها كما أشير من قبل ليست ثقيلة على أطفال فترة الطفولة المتأخرة حيث يتفتح الوعي وتبدأ الذات في وعي نفسها، ووعي مكانتها وموقعها، ويندرج الطفل فيها ليكون قادراً على العمل مع الجماعة في انسجام وتعاون، ويكون الطفل كالفتى متأجج العاطفة، تعتمل في نفسه رغبات المعرفة تدفعها دوافع الكشف والاطلاع.

يوسف أحد أبطال الرواية يحاول أن يعرف ماذا يفعل الكبار في القبو؟ إنه البحث عن عوالم جديدة، دخول في عالم الراشدين. يتساءل (لماذا لا يسمح لي جدي بالدخول إلى القبو؟). (غداً سأحاول اكتشاف السر).

ثم المحاولات المتكررة التي قام بها يوسف لاكتشاف السر، سر القبو المحرم عليه دخوله.

ولا يخلو الفتى وأقرانه من آثار الطفولة، فما زالوا أطفالاً في بضع من جوانب نموهم نقرأ ذلك في سلوكهم:

"يأخذ يوسف عكاز جدّه إلى الشارع ويقلّد الشيخ في مشيته، كان يعلم أن جده ما كان يعاقبه لولا ذلك الولد نشوان الذي ما إن رأى يوسفاً وهو يقلّد جدّه في مشيته، حتى ركض وأخبر الجد..!! والفتيان في الرواية . كغيرهم من الفتيان . تستيقظ اهتماماتهم الجنسية.

"حدّق نشوان في وجه سلمى مبتسماً بعمق، وقد غمرت وجهه حمرة داكنة، وخفق قلبه بشدّة".

حب الفتى للمغامرة بقايا من مرحلةالطفولة، ولكنه هنا يتقمص شخصية البطل، ويربط سلوكه بقضية أكثر وضوحاً.

الفتيان يشكلون فريقاً لكرة القدم يشكل (نشوان، يوسف، وأحمد) نواته.

"غادر الأولاد الملعب في ساعة متأخرة ذات مساء. حصل انفجار كبير في شمال القرية.. ركض الأولاد مسرعين.. ماذا حدث؟.. اعترضتهم سيارتان محملتان بجنود غرباء... قفز الرجل صاحب الرشاش... اقتادهم إلى غرفة صغيرة جداً. بالقرب منه يضطجع كلب ضخم.. في ساعة متأخرة من الليل فتح غريبٌ ضخم الجثة باب الغرفة.. ركل بطرف حذائه بعض الأولاد بقسوة شديدة عند الفجر، أطلق الغرباء سراح الأولاد..".

أخذ الأولاد ينصتون إلى أحاديث الكبار عن السجن والغرباء وعنجهيتهم. ويستمع نشوان من جدته إلى قصة قتل والده وقصص أخرى، يود لو أن الجدة لا تتوقف عن الحديث..

كان الأولاد يلعبون لعبة (الأصدقاء والأعداء) انقسموا فريقين (وسرعان ما بدأت الكتل الطينية تساقط في كلّ مكان.. سقطت على رأس نشوان كتلة كبيرة فطار غضباً وراح يقذف بالحصى والحجارة.)

(قال مرزوق متذمراً. لقد احتلوا مدخل القلعة.. وقال آخر. لا نستطيع الصمود أكثر يجب أن نبحث عن طريقة تخلصنا من الورطة.. لن نمثل دور الأعداء في المرة القادمة".

عند غياب الجد اتفق الفتيان على معرفة ما بداخل القبو..عثروا على صندوق كبير داخل خرفة القش لكنهم لم يستطيعوا فتحه..

سأبحث عن المفتاح في صندوق جدي قال يوسف، حسناً قال أحمد ونشوان.. ذهب الأولاد في رحلة نحو المدينة ليقوموا بإجراء مباراة مع فريق لكرة القدم فيها..

"دخل غريبان مدججان بالسلاح يعلقان على صدريهما نجمة سداسية إلى الحجرة

رقم (١) التي بداخلها الأولاد. تقدم أحدهما وراح يفتشهما واحداً واحداً. ومن ثمّ مدّ يده وأخذ كرة القدم من حضن نشوان وغرس فيها سكينه مرات عديدة..".

في المدينة شاهد الأولاد مظاهرة.. "وكان الشبان يسدّون الطرق بإطارات السيارات والبراميل ويصرخون بصوت واحد: اخرجوا من ديارنا أيّها النازيون..".

في القرية "انتهى نشوان وأحمد ويوسف من رسم خطتهم لحرق بيت المختار وأحضروا معهم بعض الأدوات وقصاصات من اورق كتب عليها:

بلاغ رقم (١). أيها المختار الثعلب، حكمنا عليك بالموت حرقاً.. ن.أ.ي"..

"لم تكد تشرق الشمس وتغمر صحن الدار بالنور حتى انتشر خبر ذلك الحريق.. جنّ جنون المختار الذي نجا من الموت بأعجوبة.. من هؤلاء (ن.أ.ي)؟".

يستمر يوسف في البحث عن سر الصندوق الموجود في القبو.. وتساءل :

"ماذا أحضر الرجلان معهما إلى القبو؟ ماذا أخذا؟ ومن هم الذين سيأتون منتصف ليلة أول الشهر لاستلام البضاعة؟ وأية بضاعة هذه؟".

دخل الأولاد إلى اللعبة الحقيقية.. صديقهم عبدو اعتقل.. وسيفكرون بخطة لإنقاذه.. فينقذون عبدو، لكنه يودعهم.. وعندما يعودون إلى الدار، يدلفون إلى القبو من النافذة الصغيرة. يفتحون الصندوق.. همس نشوان بصوت مبهور:

"لقد فهمت كل شيء.. البضاعة هي بنادق وأحذية. مَنْ سيأتون لأخذها هم من الثوار.. أتصدقون أن الإسكافي والجدّ هما من الثوار أيضاً؟.. أعادوا كل شيء إلى مكانه وغادروا القبو..".

ويُسجن الجد.. والأولاد يفكرون في طريقة يسلمون فيها البضاعة إلى الثوار.. وتلاصق الثلاثة.. ببعضهم وراح نشوان يشرح خطته وأحمد ويوسف يصغيان.. سارت الأم في مقدمة الرجال إلى القبو، ولحق بها الجميع.. توقفت وأشارت للأولاد أن يصعدوا إلى الغرفة فوراً.. لكن الرجل الطويل اعترضها قائلاً:

دعيهم أيتها الأخت.. إنهم يعرفون حتى عدد البنادق التي بداخل الصندوق.. أعطى الثوار الأم رسالة إلى الجد تسلمه إياها فور خروجه من السجن.. بعد يومين من تسليم البضاعة إلى الثوار حصل انفجار كبير في معسكر الغرباء..

الذين ما لبثوا أن حاصروا القرية واعتقلوا كل الرجال والنساء ومعهم أم يوسف.."

انتشر الجواسيس في القرية ومن بينهم صياح..

اتفق الثلاثة أن ينقلوا الأسلحة من مخبئها في القبو إلى البئر المجاور لليمونة عندما خرج الجد والإسكافي من السجن أعلمهما الأولاد أنهم نقلوا الأسلحة من مخبئها..

وعرفا حكاية الأولاد من أولها.. ثم قدم يوسف تلك الرسالة التي سلمها الثوار للأم كي تعطيها له..

طلب الأولاد اطلاعهم على الرسالة.. قال الجد بعد تفكير: طبعاً سأطلعكم على السر الذي فيها.. وقرأ: (الرسالة الزرقاء في طريقها إلينا).. أي أن الثوار قادمون إلى هنا في وقت قريب لطرد الأعداء.. قال يوسف: وهل سيأتي أبي معهم؟ .. بالطبع يا بني.. .

تبلغ الرواية ٢٢٦ صفحة من القطع المتوسط.. إذ يراعي كاتبها خصائص المراهقة الجسمية والنفسية يعمل من خلال أحداثها على تنمية حب الوطن والأرض وقيم النبل والدفاع عن الوطن.[٤٥]

(٧) خلاصة وملاحظات ختامية:

من خلال المقاربات التي مر ذكرها، يتبين أن أدب الأطفال كأداة تثقيفية ذات أهداف تختلف عما يهدف إليه أدب الكبار، وذلك للخصائص الخاصة بالطفولة، كمرحلة نمائية لها حاجاتها واهتماماتها الخاصة بها. وأن أية مادة أدبية تلبي حاجات الطفل وتستطيع أن تجذب اهتماماته تستحق أن تدرج في باب أدب الأطفال، مع مراعاة البعد المستقبلي لهذه المرحلة. فلا معاملة الصغير كمعاملة الراشدين، وفي الوقت نفسه اشباع حاجاته دون اطلاق العنان لدوافعه كي ترتد إلى سلوك حيواني. وبذلك يكون النص الأدبي وسيلة تربوية تتعامل مع متلقيها الطفل على أساس أنه مخلوق يحب أن ينمو، ويحيا مراحل حياته مرحلة مرحلة فلا تضحية بأحدها من أجل الأخرى، فمن لا يحيا طفولته ومراهقته كما يجب، لا يستطيع أن يكون مستقبلاً . راشداً . كما يجب.

وأن الأدب الذي تدفعه دور النشر والصحافة للأطفال لا تتوافر فيه . أحياناً كثيرة . الشروط التي يطمئن إليها المربون والمهتمون بالطفولة والمستقبل.

فقد استسهل البعض . من ذوي التجارب الأدبية من مبدعي القصة والشعر . الكتابة للأطفال. كما غامر آخرون فولجوا هذا النوع من الكتابة مباشرة. وقد استمر بعضهم هذا الدرب، وما زال له حضوره في هذا المجال بشكل أو بآخر. وتراجع آخرون عن ذلك خاصة بعد أن أصبح مجال النشر في هذا الباب ضيقاً. ولا يمكن

(٤٥) رواية (الرسالة الزرقاء) لفيصل الحجلي . منشورات اتحاد الكتاب العرب . دمشق ١٩٨٦ .

لأحد أن ينكر على الكثيرين منهم الأثر المحمود الذي خلفوه في الساحة الأدبية. ولكن من المؤسف أن نصوصاً لا تتوافر فيها أية شروط مناسبة ما زالت تفرض على الأطفال وفي ذلك ما فيه من مخاطر وآثار سلبية على مستقبل الطفل وعلى حاضره أيضاً.

ومن المناسب في ختام هذا البحث إبداء بعض الملاحظات الاضافية:

أولاً . استسهلت بعض الكتابات ما يوصف به أدب الأطفال بأنه ذو هدف تربوي، فلجأ كتابها إلى اللغة التقريرية المباشرة فغدا الأدب الموجه إلى الطفل عندهم كأنه درس من الدروس التي تلقي في المدرسة بطرائق قديمة تعتمد التلقين ولا تستثير التفكير لدى الطفل، ففقدت النصوص خصائصها الفنية وإضافة إلى عدم ملاءمة النص لسن الطفل ومستواه التحصيلي.

نعرض فيما يلي نصين، قصة، وقصيدة كلتاهما من أدب الأطفال المنشور ونلاحظ بشكل واضح وصريح بعدهما عن فنية الأدب وجمالياته،وافتقادهما لعنصر التشويق الضروري سواء كان الأدب للكبار أم للأطفال.

النص الأول

"أيقظتني أمي في السادسة صباحاً. قالت: اليوم ستذهب إلى المدرسة، لقد صرت ولداً عاقلاً كبيراً.. تناولت فطوري، وارتديت ثيابي النظيفة، ثم أمسكت يد أبي وخرجت.

في المدرسة كان هناك أولاد كثيرون، تركني أبي معهم وذهب إلى عمله. وقفت في طرف الباحة وحيداً، وبدأت أنشج بالبكاء.. قلت: أريد أن أرجع إلى البيت...

ضحك الطفل وأمسك بيدي، وقال: الصغار وحدهم يقعدون في البيت. خجلت من نفسي.. ترن.. ترن.. ترن.. دق الجرس، جمد الأطفال ترن..ترن..ترن.. ركضوا واصطفوا بنظام، وقفت مع تلاميذ الصف الأول..

جاء المعلم وقال: ادخلوا إلى هذا الصف. أسرع التلاميذ، وتوزعوا على المقاعد. وظللت وحدي واقفاً. دخل المعلم فوجد لي مكاناً.

سأل المعلم عن أسمائنا. وحدثنا عن النظافة والمدرسة. ومنذ ذلك الوقت أحببت منظر السبورة والمعلم.. والحديث عن الأرض والوطن والكتب والأقلام. عندما عدت إلى البيت. أحسست أنني أحببت المدرسة. وعاهدت نفسي أن أكون مجتهداً يحبني الجميع".(٤٦)

---

(٤٦) من مجموعة (حكايات إياد) . نزار نجار . اتحاد الكتاب العرب . دمشق ١٩٨١ .

من الواضح كما يبدو من السياق أن النص موجه إلى طلاب الصف الأول الابتدائي، أبناء السادسة لكن طول النص وأسلوبه ولقته تجعل منه موضوع إنشاء لطالب الصف الرابع والخامس يكتب فيه ذكرياته عن اليوم الأول من حياته المدرسية.

فإذا كانت القصة ذات هدف وجداني يتمثل بتشكيل استجابة إيجابية نحو المدرسة عند أبناء السادسة. فإن طول النص، وعدم توافر العنصر الجمالي فيه لا يسمحان للمتلقي الطفل متابعة الحدث، كما أن مستوى مهارة القراءة لديه لا تسمح له حتى بقراءة مثل هذا النص. والمقارنة بين هذا النص والصفحة (٣٢) من كتاب القراءة للصف الأول . الجزء الأول تبين بوضوح تخلف النص عن الصور الموجودة في الصفحة المذكورة والتي تتمحور-حول (اليوم الأول في المدرسة). هذا على أن لكاتب هذه القصة إسهامات أخرى أفضل بكثير من هذه القصة. واختيار هذه القصة وتقويمها يجب أن يفهم بأنه تقويم لها فقط لا لأدب الكاتب في هذا المجال.

النص الثاني وهو مقطع من قصيدة منشورة.[٤٧]

هدر الرعد..

هطل المطر

زاد الماء

كبر النهر

امتلأ الوادي

صار نهراً قوياً

دفع الصخرة فاندفعت

لم تقو على الصد

التجأت للشاطئ مقهورة..

تحكي خيبتها..في صد الماء

لا أعتقد كائناً من كان يقول أن مثل هذا النص يجذب الطفل ويجعله ويهتم به وينشده. ويمكن أن يصاغ هذا النص في قصة قصيرة أو أقصوصة فتكون جاذبيته أفضل.

حتى تكون الصورة أوضح نختار نصاً شعرياً آخر للمقارنة وهو للشاعر نفسه ولكن مستواه الفني أفضل بكثير:

---

(٤٧) معشوق حمزه: (البستان للأطفال) شعر . كتاب أسامة الشهري . دمشق.

كان رفيقي
يكتب اسمه..
فوق البحر
فوق الرمل
يرسم حقلاً
يرسم ورداً
وفراشاً يفرح بالنور
ويغني مثل العصفور
جاء صهاينة غرباء..
قامت حرب،
جاؤوا من شتى الأنحاء
هاج البحر
يبس الحقل
يكتب اسمه فوق الصخر
يرسم ثواراً وخنادق
يكتب فوق الشمس
في بيروت
يبقى النصر
أرض حرة
أرض حرة
شعبي حر
ليس يموت.

نص آخر لشاعر مبدع تلتمع صورة فلسطين في وجدانه فيغني للأطفال، ويغنون معه:(٤٨)

تحب الغصون	غناء الطيور
ويهوى الفراش	رحيق الزهور
ونحن نحبّ	كروم الجليل

(٤٨) صالح هواري: الموقف الأدبي العدد (٢٠٨ و٢٠٩ و٢١٠) ص١٨٠ .

ونـعـشـق يـافـا   وشمس الخليل
ونـكـتـب' دومـاً   على كل دفتر
على العهد نبقى   ولـن نـتـغـيّـر
وعكا السليبة   غـداً تـتـحـرر

فشتان بين نصوص تتفجر جمالاً، وتوقظ انفعالات القارئ ووجدانه، وتوجهها نحو قيم عليا فيستجيب لها عقل الطفل ويتفاعل معها، ونصوص تمر كأنها درس في العلوم العامة أو أية مادة دراسية أخرى ولكن دون معلم وطرائق ووسائل تعليمية فتفقد أهليتها كدرس بسيط من الدروس التعليمية، فضلاً عن أن تستحق صفة أدب الطفل.

ثانياً . تحتاج مكتبة الطفل إلى إعادة الترتيب والتبويب، وهذا الأمر نتيجة مباشرة إلى أمر العناية بالكتاب الذي يطل الطفل من خلاله على أدب الأطفال.

ويرتبط بذلك تبويب الكتاب ونوع الكتابة فيه والموضوع الذي يتطرق إليه، والخط الذي كتبت به حروفه والإخراج، كما أن لنوع الورق وللرسومات والتزيينات دورها في جذب القارئ وتيسير مهمة الكاتب في توصيل أدبه للطفل.

وليس ذلك فحسب، بل لا بد من توجيه عناية أفضل لغلاف الكتاب، من حيث التصميم والتعبير عن المحتوى. وهذا يعني تضافر جهد الفنان التشكيلي مع جهد الأديب.

وأن يشار على الغلاف إلى السن الذي يوجه إليها الكتاب، وفي ذلك ما فيه من لفت انتباه الطفل وذويه إلىالكتب المناسبة لسنه.

وكتب الأطفال تحتاج إلى جهود تقويمية تتناسب مع ضرورتها وخطورتها، فهي بحاجة لقراءة متأنية واعية قبل دفعها إلى المطبعة. يشارك في ذلك ناقدون أدبيون واختصاصيون في علم النفس وعلم التربية. ولا يجوز أن يترك ذلك لمزاج الكاتب أو الناشر وتقديراتهما.

ثالثاً . النهوض بأدب الأطفال مهمة تربوية وأخلاقية، ويحتاج ذلك إلى تضافر جهود الأديب والاُخصائي والمربي لوضع دليل أو مرشد لكتب أدب الأطفال، وأن يوضع هذا الأدب في دائرة الضوء بتنظيم حملات توعية منظمة مثل عقد الندوات التي يشترك فيها بعض الأطفال، وأولياء الأمور، وأن تعدّ ملفات دورية تعالج هذا الأدب، وتنظم المسابقات في مختلف أجناسه. كل ذلك من خلال خطط واستراتيجيات محددة في تأليف كتب الأطفال ونشرها.

فعلى سبيل المثال: يوجد في الهند دار نشر مختصة بنشر كتب الأطفال. هي (شركة كتاب

الأطفال) التي توجه نشاطها لنشر الكتب الجيدة. وتضم العديد من الكتّاب. كما ينظم الناشر مسابقة سنوية للكشف عن المواهب الشابة في هذا المجال[٤٩]

---

(٤٩) آن بيللسنكي: حول معايير كتب الأطفال في البلدان النامية. ترجمة بشير النحاس. وزارة الثقافة. دمشق ١٩٨٦.

ـ ٣ ـ
مسرح الأطفال
مداخل ونماذج تطبيقية

الأدب المسرحي: أحد مجالات التثقيف الهامة الذي يجمع إدهاش الكلمة ومتعتها مع جمال الحركة ودلالتها. وفي العمل المسرحي تتضافر الجهود الإبداعية مع الجهود الحرفية وتتآزر عدة أنشطة إنسانية ومما لا شك فيه فإن النص المسرحي هو أحد أهم عناصر المسرح فلا مسرح بلا نص. ويفترض في النص أن يجمع المتعة والفائدة. فمجرد الامتاع واللهو لا يصنع مسرحاً يستحق الاهتمام كما أن العنصر التعليمي بمفرده لا يتقدم بالعمل المسرحي نحو غاياته التثقيفية الإبداعية. والنص المسرحي يصل إلى جمهور المتلقين لفظاً منظوقاً، أو أنه يصل إليهم بوساطة الحركات والإيماءات التي يقوم بها الممثلون من على خشبة المسرح.

وما يعنينا هنا أن يكون المسرح أحد عناصر التثقيف لا أن يقتصر عمله على عرض الحركات وإرسال العبارات المضحكة فحسب.

ومن الظواهر الثقافية السائدة في مجتمعنا غياب المسرح باعتباره نشاطاً تثقيفياً مطلوباً من الجمهور فما يزال المسرح يقتصر في حضوره على أوساط محددة في بعض مراكز المدن الكبرى.أما في المدن الصغيرة والبلدات والأرياف فيكاد يكون هذا النشاط غائباً تماماً. وإذا حاولنا معرفة حجم الجمهور المهتم بالمسرح فإن ذلك لا يشكل شيئاً يذكر. فالناس والعارفون منهم بخاصة يشكون من قلة العروض المسرحية ومحدوديتها. إذ أن قيام بعض الجهود خارج نطاق المدن الكبرى يظل مرهوناً بالمناسبات والاحتفالات، وفي غالب الأحيان يكون الحاضرون ممن يمثلون جهات رسمية أو شبه رسمية لا يكوّن الاهتمام بالمسرح لديهم حاجة من حاجاتهم البارزة.

لم نصل بعد إلى المستوى الذي يكون فيه المسرح حاجة من حاجاتنا التي تعبر عن دوافع الاطلاع والمتعة والتعبير.. علماً أن المسرح وانتشاره يشكل مؤشراً حضارياً

ينم عن اتجاهات الاهتمام بالانسان ومستقبله وعن الحاجة إلى النهوض الاجتماعي لأن المسرح أحد أهم أدوات التحريض على التطور والتغيير في المجلات الثقافية والاجتماعية.

ولتكتمل الصورة عن الثقافة الوظيفية في أدب الأطفال. فقد أفردنا للحديث عن المسرح هذا الجزء الأخير من الكتاب وذلك من خلال مداخل كالتي تحدثنا فيها عن أدب الأطفال بعامة. ونُتبع ذلك ببعض النماذج من نصوص مسرحية أعدها كتابها موجهة للأطفال بعد أن نذكر بعض الشروط التي نعتقد أنه يجب توافرها في النصوص المسرحية الموجهة لهذه الفئات العمرية.

١ ـ المدخل التاريخي لمسرح الأطفال

ليس الفن المسرحي من الفنون الحديثة التي اكتشفها الإنسان، بل أن تاريخ وجوده يمتد إلى عصور مبكرة من حياة البشر في هذا الكون.

تدلنا الآثار الفرعونية القديمة علي وجود للمسرح في مصر القديمة. إذ تظهر بعض الرسوم التي وجدت في المناطق الأثرية على أن الناس في ذلك الزمن الغابر كانوا يعرضون الحكايات والأساطير بالمحاكاة والتمثيل. أما بالنسبة للإغريق فإن شهرتهم بالأعمال المسرحية تعد أحد البديهيات وهي لا تحتاج لأي برهان لأن الدليل عليها لا يخفى عن أي مهتم بالتاريخ أو الأدب بعامة وبالفنون المسرحية بخاصة.

وفي الوطن العربي فقد ظهرت أشكال متعددة من الأنشطة التي تندرج في باب النشاط المسرحي. وإن لم يتطور بعضها إلى مستوى متطور من الفن المسرحي. ففي أيام الخلافة العباسية اشتهر مسرح الظل، وفي كتاب (الدلالات) لصاحبه (الشابشتي) ورد حوار بين الشاعر المعروف دعبل الخزاعي وأحد الفتيان، هدّد خلاله الشاعر في حضرة المأمون بأنه سيهجو الفتى وهو ابن أحد الطباخين فيجيبه الفتى قائلاً:

"والله إن فعلت، لأخرجن أمك في الخيال"[1]

وقد كانت الاحتفالات والمناسبات الرسمية في تلك الأيام . أيام العباسيين . تخرج إخراجاً مسرحياً. "ففي مناسبة زواج المأمون ببوران ابنة وزيره الحسن بن سهل أخرجت الحفلة بحيث وزعت الرقاع على حاشية المأمون وكانت تحمل أسماء كثير

---

(١) علي الراعي المسرح في الوطن العربي ص١١ . سلسلة عالم المعرفة . ٢٥ .

من الضياع أو بدار من الدنانير (كل بدرة عشرة آلاف ديناراً) وأعطى المأمون بوران ألف ياقوتة وأوقد لها شموع العنبر وبسط لها حصيراً منسوجاً بالذهب، مكللاً بالدر والياقوت، ونثرت جدتها عليها حين جلس إلى جانبها المأمون ألف درة"[٢].

لكن أبرز ما يتعلق بالمسرح كان خيال الظل الذي ارتبط بالأدب وعدّه البعض أحد أهم انجازات هذا الأدب، وقد نضج هذا الفن على يدي الشاعر الماجن (محمد جمال الدين بن دانيال) نقتطف من إحدى رسائله قوله الذي يشكّل ارشادات مسرحية نظرية وتطبيقية:

"هيّء، الشخوص، ورتّبها، وأجل ستارة المسرح بالشمع، ثم اعرض عملك على الجمهور وقد أعددته نفسياً لتقبل عملك: تكون قد ثبتت فيه روح الانتماء إلى العرض وجعلته يشعر بأنه في خلوة معك. فإذا ما فعلت هذا فستجد نتيجة تسر خاطرك حقاً، ستجد العرض الظلي وقد استوى أمامك بديع المثال يفوق بالحقيقة المنبعثة من واقع التجسيد ما كنت قد تخيلته له من قبل التنفيذ"[٣].

ولكن المسرح المختص بالأطفال تأخر ظهوره عن ذلك، والمقصود بذلك تمثيل نصوص أعدت أصلاً للأطفال سواء كان الممثلون لها من الكبار أم من الأطفال أنفسهم. علماً أن الأطفال كانوا يشاركون في مشاهدة عروض لم تعد لهم مباشرة. ذلك أن أعمالاً مسرحية كبيرة كانت تجتذب إليها الأطفال وتلقى هوىً لديهم فيقبلون عليها..

ويؤرّخ لمسرح الأطفال ابتداء من ذلك العرض الذي قدمته (مدام ستيفاني دي جيلينيس) في حديقة بلدة (دون شارتر) في ضواحي باريس عام١٧٨٤ . علماً أن الآثار القديمة تنبئنا عن أشكال مسرحية للأطفال ظهرت في مصر أقدم عهداً من ذلك. إذ كانت تعرض على الأطفال "حواديث تتيح للطفل مشاهدة أنواع من التسلية والترفيه عن: ايزيس، واوزوريس، الفلاح الفصيح، الغريق، صدق وكذب، سنوهيت الراعي، خوفو والسحر، عفريت، الجسم والرأس. وكانت تعرض في المعابد أو على مراكب في النيل. ومن المعروف أن الأطفال كانو يشهدون تلك الاحتفالات ويحبونها. كما ثبت أن أول مسرح للعرائس كان في مصر منذ أربعة آلاف عام"[٤].

وبعد عام ١٧٨٤ شهد مسرح الأطفال تقدماً وانتشاراً كبيرين. وقد تاثر ذلك بما

---

(٢) م.س: ص١٥ .

(٣) م.س: ص٢٥ .

(٤) جمال أبو رية: ثقافة الطفل العربي . ص٤٣ .

حظيت به الطفولة من اهتمام. وبما احدثته الاكتشافات الجديدة لعالم الطفل ونفسيته وحاجاته. وقد توسعت دائرة الاهتمام بمسرح الأطفال منذ بداية القرن التاسع عشر بخاصة في البلدان الأوروبية، وأصبحت له عروضه الخاصة وقد ظهرت مسارح مختصة بعروض مسرحية للأطفال. كما أن دور التربية والمدارس أخذت تشجع هذا الفن لقدرته على تأدية غرضتي الترفيه والتعليم معاً. كما أنه قد أصبح إحدى الوسائل التعليمية. ولم تعد هذه المسارح مقصور الاهتمام بها على العاملين في المسرح بل أن الاختصاصيين في مجال الحياة النفسية والاجتماعية شاركوا في تقديم العروض المسرحية.وهكذا فإن مسرح الطفل قد اتسعت دوائر المهتمين به لتشمل فئات من المربين والمعلمين والكتاب،إضافة إلى الفنيين الذين يعملون في الديكور والإضاءة وإعداد الملابس والتصميم وغير ذلك.

وفي معظم أقطار الوطن العربي ما يزال مسرح الأطفال بين مد وجزر لم يتجذر كظاهرة تثقيفية يُعتد بها لأنه ما يزال إلى حد كبير خاضعاً في أغلب الأحيان للأنشطة المدرسية اللاصفّية،أو أنه تابع لنشاط بعض المنظمات والمؤسسات ذات الاهتمام بالطفل.

ويعاني المسرح الخاص بالطفل في سورية (من صعوبات كثيرة أهمها ندرة النصوص المسرحية التي يعي أصحابها أن الأطفال هم الذين يصنعون مسرحهم على الرغم من أن الكبار هم الذين يكتبونه ويعملون على تجسيده على الخشبة)(٥).

وغالباً ما يكون هذا النشاط مرتبطاً بمهرجانات أو احتفالات لها طابع دعائي أو إعلامي أكثر منه ميلاً للأهداف التثقيفية العامة، وهو غالباً ما يكون عروضاً يشاهدها الكبار بقصد الاطلاع أو التقويم لأعمال منظمة ما أو مؤسسة من المؤسسات. مع التنويه إلى وجود فرق هاوية في بعض المدن تقدم مسرحيات للأطفال أو وجود مسرحيات يقدمها للأطفال أحياناً مسرحيون معروفون. ولكن مسرحاً يتيح العرض لجمهور الأطفال متابعة عروضه وتتوافر له العناية المدروسة ليؤدي وظائف تثقيفية للطفل ويتيح الفرص للأطفال ذوي الميول وأصحاب الطاقات التمثيلية للاشتراك في العروض ما يزال غائباً بصورة لا فتة للنظر..

وما نزال بحاجة ماسة للنشاط المسرحي الذي يربي جمهوراً مسرحياً تظهر عنده حاجة للمسرح الذي يسهم في نمو الطفل العربي وتعلّمه "بحيث يكوّن الاهتمام

(٥) سمر روحي الفيصل: مسرح الطفل في سورية . الموقف الأدبي . العدد (١٧٨ . ١٧٩).

بالمسرح والمتابعة للأعمال المسرحية التزاماً وطنياً وإنسانياً كما كان الحال عليه عند الإغريق حيث كانت الدولة تشرف على الإنتاج المسرحي وتشجعه وتخصص له الجوائز والمكافآت، وتسدد ثمن تذكرة الدخول لغير القادرين".(٦)

٢ ـ المدخل التربوي لمسرح الأطفال

لقد أدى الفقر في الجمهور المسرحي وفي الجهود المنظمة لإنشاء مسرح للأطفال إلى ظاهرة الإعراض عن المسرح، حتى في بعض الحالات التي يوجد فيها عرض مسرحي، وهذه الظاهرة تحثنا للبحث عن الأساليب والوسائل والطرق الفاعلة للنهوض المسرحي وذلك من خلال إيجاد المناخ المناسب لتقدم المسرح،ولتربية جمهور مسرحي حقيقي. وأن يكون ذلك في إطار النهوض بشخصية الطفل،ومن خلال عملية تثقيفية تسهم في تنشئته. ويبدو ذلك ملحاً بعد أن أخذ المسرح التجاري في دس أنفه بعروض هابطة تتجاهل طبيعة الطفولة ومطالبها وخصائصها.

وإن مسرحاً ذو وظيفة ثقافية يغدو ضرورياً ويلبي حاجة في الانسان تقوم على رغبته في أن يرى نفسه ويتأمل حركاته وصفاته وسماته. ذلك أن المسرح يعد "ذروة الجهد الانساني في تصعيد الحوار وتقديسه وحشد الجمهور له".(٧)

ويعد المسرح من هذا الباب جهداً تحريضياً يتجه إلى فهم الواقع والانفصال عن مفاسده والنضال ضد السكون والتخلف بهدف التغيير والتطور بحيث يكون الاهتمام بالمسرح مسؤولية اجتماعية وثقافية.

يشرح (بيتر فايس) هذا الدور التحريضي والتربوي للمسرح بقوله:

"الفن قادر على تغيير الحياة وإعادة تشكيلها بالفعل.." ويعيد إلى أذهاننا. ذلك النداء الذي يبرز قدرة المسرح على التحريض وهدفه في التغيير والتقدم فيقول:

"أضربوا هذا الرجل الشاحب . اضربوا هذا الرجل الميت.. حتى لا يعود إلى الظهور بيننا مرة أخرى . يقصدون نظام ديكتاتور البرتغال المقبور سالازار"(٨).

وإن نشوء مسرح أطفال يعنى بتربية الانسان منذ نعومة أظفاره على الارتباط بالمسرح بحيث يغدو حاجة من حاجاته سيؤدي إلى خلق جمهور مسرحي متفاعل وخلاق.

---

(٦) سعد اردش: المخرج في المسرح المعاصر . هامش الصفحة (١٣) سلسلة عالم المعرفة . ١٩ .

(٧) فؤاد الشايب . المعرفة . عدد خاص بالمسرح . كانون الأول . ١٩٦٤

(٨) يسري خميس: التطور الفكري في مسرح بيتر فايس . مجلة المسرح والسينما . العدد ٥٠ .

ومسرح الأطفال ليس جهداً يتعلق بالترف والإلهاء وإنما هو ضرورة اجتماعية تربوية. وعن القيمة التربوية لمسرح الأطال يقول (مارك توين):

"أعتقد أن مسرح الأطفال هو من أعظم الاختراعات في القرن العشرين، وأن قيمته التعليمية الكبيرة التي لا تبدو واضحة ومفهومة في الوقت الحاضر، سوف تنجلي قريباً، إنه أقوى معلم للأخلاق، وخير دافع للسلوك الطيب اهتدت إليه عبقرية الإنسان، لأن دروسه لا تلقن الكتب بطريقة مرهقة أو في المنزل بطريقة مملّة، بل بالحركة المنظورة التي تبعث الحماسة. وتصل مباشرة إلى قلوب الأطفال، فإنها لا تتوقف في منتصف الطريق. بل تصل إلى غايتها".

يلبي المسرح حاجة تربوية تعليمية وإذا تيسر له التشجيع فإن مردوده التربوي يفوق مردود الوسائل الأخرى لأنه لا يتوجه إلى السمع والبصر فحسب وإنما يشرك الجانب الحركي أيضاً مما يضفي جواً شائقاً أكثر جاذبية وأشدّ حفزاً للانتباه. وحسن استثماره يبعد الملل والسأم.

— فوظائف المسرح التربوية عديدة ومتنوعة، نذكر منها:

١ . يضفي المسرح مناخاً صحياً يساعد على تحسين ظروف النمو عند الأطفال، بخاصة إذا تيسرت له الظروف والإمكانات المناسبة نصاً وإعداداً وإخراجاً وما يرتبط بذلك من تقنيات فنية، مما يتيح للمسرح لعب دور المحرض لتحقيق أهداف تتعلق بترسيخ وتشكيل قيم واتجاهات وطنية وقومية وإنسانية.

٢ . يثير خيال الطفل ويحرضه ويصقل قوة الملاحظة ويدربها وينميها، مما يؤدي بالطفل إلى التنقيب والبحث والاكتشاف من جرّاء إثارته الفضول المتعلّم وحب الاطلاع والاستزادة من المعرفة لديه.

٣ . يدعم المسرح التعلّم المدرسي بخاصة تلك الموضوعات ذات المحتوى التاريخي والاجتماعي فيعيش المتفرج لحظات من المتابعة تنقل تفكيره إلى أجواء الحدث فيسهم ذلك في إنماء معارفه ومعلوماته، ويمكنه من الاستيعاب والفهم، ويوسع من آفاق تفكيره. والعمل المسرحي يدرب قدرات المشاهد العقلية والنفسية، فيحض الذاكرة والخيال وينمي المحاكمة ويستثمر الانفعالات في تركيز الانتباه وتوجيهه.

والصور ا لذهنية التي تتشكل عند المتلقي بعد العرض المسرحي تعيش في ذهنه زمناً طويلاً.

٤ . بقرب المسرح المجردات فتصبح أقرب إلى الفهم يتمثلها المتلقي من خلال تعبيرات الممثل وعمليات الإضاءة والصوت وغيرها.

وتتكامل خبرة المشاهد والممثل من جوانبها كافة بحيث تصبح المعلومات والأفكار أمام المتلقي والمشاهد حية ناطقة متحركة.

٥ . يذكي الفعل المسرحي عاطفة الجمال مما يسهل عملية الفهم ويؤدي إلى تكوين اتجاهات إيجابية فللأعمال المسرحية نتائجها التي تؤثر في أذواق الناس وفي قدراتهم الفنية.

٦ . يدرب العمل المسرحي . بخاصة عند مشاركة المتعلم فيه . النطق الصحيح والأداء والإلقاء. ويسهم في مساعدة المتعلّم على فهم الحياة فهماً أكبر ويعمق من فهم الآخرين، كما يحسّن من ظروف التعرف على الجماعات الأخرى، والاطلاع على العادات والتقاليد ووسائل العيش والجوانب الثقافية المختلفة: من شكل المسكن وطراز الملابس والغذاء وطرائق التعامل وغير ذلك. مما يسهم في التقريب بين الناس، مما يؤدي إلى إحداث تبدلات في أنماط سلوك المشاهد وعلاقاته مع الآخرين فيرفع ذلك من مستوى ثقافة الطفل، وينمي عنده اتجاهات ثقافية وفنية.

والعمل المسرحي ـ بخاصة عندما يشارك فيه الطفل ممثلاً لبعض الأدوار ـ يدرب الطفل على العمل مع الجماعة، وينمي لديه روح الفريق. ذلك أن المسرح عمل جماعي يقتضي أنشطة تقوم على التنسيق مع الجماعة وتضافر الجهود في أداء يعتمد الأخذ والعطاء والتنظيم.

٧ . يؤدي المسرح دوراً أخلاقياً لا يستهان به. لأنه يخلق على الخشبة شخصيات ساطعة، فيثير عواطف متنوعة ويحفز على الإتيان بالأفعال النبلية، وهو إضافة لما يكونه من صفات جمالية يكون صفات خلقية...

٣ ـ مدخل نفسي واجتماعي لمسرح الأطفال

لا يطلب المسرح لكونه وسيلة تسلية فقط وإنما كحاجة، فعنصر التسلية والترفيه له وظيفة تتمثل بشد انتباه المتلقي، وليست الثقافة الوظيفية التي تنتج عنه مقتصرة على الناحية المعرفية وإنما تمتد إلى جوانب أخرى في الشخصية سيما منها الجانب النفسي والجانب الاجتماعي. فإذ يدرب المسرح الفرد على طرائق العيش مع الآخرين والتعامل معهم وفهم العلاقة بين الأنا والآخرين، فإنه يساعد على التكيف الحسن مع البيئة التي تشكل الوسط الحيوي له من خلال عرض الشخصيات والعلاقات والمعالجات والأنماط السلوكية المتباينة...

ويتعلّم الطفل من المسرح النقد والشك النقدي، ويصبح أقدر على إصدار

الأحكام الخاصة.ثم إن للمسرح دوراً علاجياً لبعض المشكلات السلوكية الفردية والجماعية، فكأن في المسرح دواء ناجعاً لمشكلات الخوف والخجل والانطواء والعدوان وغيرها..

وفي المسرح تصعيدلأهواء الطفل وعواطفه وتنقيتها من الشوائب التي تلم بها نتيجة الخبرة المحدودة للطفل بشؤون الحياة. وقد نشأت في المسرح اتجاهات ذات هدف علاجي توظف خصائصه النفسية بقصد رفع كفاية التكيف عند الطفل وعلاج بعض حالات سوء التلازم والتخلص من المشكلات التي تسبب له انحرافاً عن الحالة السوية أو الشذوذ. وقد نشأ في نطاق علم الاجتماع مدرسة عرفت في امريكا باسم (حركة السوسيومتريا) انتشرت خارج القارة الامريكية. وقد اعتمدت هذه المدرسة المسرح ليكون وسيلة وقاية وعلاج وكذلك في مجالات البحث الاجتماعي، فاكتسب المسرح لديها ميزات ووسائل خاصة. تتوافق مع ظروف البحث ومنطلقاته وأهدافه. ويؤدي المسرح في هذه الحالة غايات وأهدافاً ذات طبيعة نفسية واجتماعية،منها معالجة الاضطرابات التكيفية وعقد النقض وبعض الأمراض النفسية، وإسباغ التناسب والانسجام على العلاقات النفسية والاجتماعية بين الناس زيادة على تفهمها.

وقد تفرع عن السوسيومتريا ما عرف بالسيكودراما والسوسيودراما وهما أسلوبان يتخذان المسرح قاعدة لهما بشكل مباشر ويهدفان إلى علاج حالات فردية وتقديم نماذج من السلوك ذات صفات كلية.

وتجري الأبحاث والاختبارات ذات الطبيعة النفسية والاجتماعية في ذات الأمكنة التي تنشأ فيها العلاقات النفسية والاجتماعية في الأسرة والمدرسة والمعمل والحزب والنقابة.. ويعتمد المعالج لذلك أساليب تمثيلية غايتها تفهم هذه العلاقات وإدخال الانسجام فيما بينها. وهذا الاتجاه العلاجي في البحوث والدراسات السيكودرامية يؤدي إلى تحرير الشخص من الكليشهات الثقافية وتحرير أفكاره وتصوراته وعلائقه من القيود الاجتماعية المتصلبة.[٩] فمسرح يهتم بالثقافة الوظيفية بعيداً عن الإسفاف والابتذال بحيث تتكامل فيه المتعة مع الفائدة، التسلية مع التوجيه هو مسرح يجب

---

(٩) عبد الكريم اليافي . تمهيد في علم الاجتماع . ص٦٥٧.٦٦٠ .

أن يظل بمنأى عن الكوميدية الهابطة التي تعتمد (القفشات، والبهلوانيات، والمفارقات اللفظية، والتهريج). وذلك بهدف الكشف عن العلاقات الاجتماعية والاسهام في تنظيمها وتحسينها.

الشروط الواجب توافرها

في مسرح الأطفال

بعد أن استعرضنا مداخل مسرح الأطفال، وحاولنا الكشف عن الضرورات التي للمسرح من حيث إشباع الحاجات الاجتماعية والنفسية والدور الذي يلعبه المسرح لتصحيح المسار لحياة الطفل النفسية والاجتماعية. والأهداف التي يمكن أن يحققها في تربية الطفل على اتجاهات إيجابية في عصر تنامي المعرفة البشرية وتفجرها، وخضوع الإنسان يومياً لسيل من المعلومات تمطره بها وسائل الإعلام، فللمسرح وظيفته الحضارية التي تتوجه إلي الانسان تحصّن إنسانيته وتنقي ما يعلق بها من شوائب تنفثها وسائل متعددة الأغراض والغايات تلوث روحه وحياته. فالفن بعامة يساعد على أن:

"يعرف الانسان بالفن، وبفضل الفن يتغلب على القدر، ويخلق العالم وفقاً لطموحه". وليس المسرح إلا شكلاً من أشكال الفن والأدب التي يحتاجها الانسان في كل عصر وزمان.

ونجمل فيما يلي بعض الشروط والخصائص التي ينبغي توافرها في العروض المسرحية ومنها تلك العروض المخصصة للأطفال:

١ . ملاءمة العمل المسرحي (نصاً وتمثيلاً وإخراجاً) لسن الطفل.. وذلك لخصائص واتجاهات واهتمامات كل سنة من سنوات الحياة.

٢ . أن ينطوي مضمون المسرحية وأهداف النص علىأبعاد اجتماعية وتربوية تتوافق مع طموحات المجتمع وأهدافه، انطلاقاً من مبدأ أن المسرح لا يمكن أن يقوم من غير فكر.

٣ . عدم إخضاع الطفل ـ من خلال العروض المسرحية ـ للتجريب والرغبات الخاصة بالراشدين. والتعامل مع الطفل من خلال الفهم الواسع لطبيعة الطفل النفسية ونموها.

٤ . توافر عنصر الجاذبية والتشويق في العمل المسرحي والابتعاد عن أساليب

الوعظ والإرشاد، والسقوط في الخطابية وأساليب التلقين، وتنجلي الجاذبية في البناء الدرامي للنص وفي جهد الممثلين وفي الجوانب الفنية والتقنية للعمل ولكن مع الحذر من السقوط في شرك التهريج. على أن نضع في الاعتبار أن نجاح الممثل مع الطفل لايقاس بما يثيره من ضحك، وإنما بما يتركه من أثر إيجابي في نفسه. يشرح الممثل والمخرج (ستانيسلافكي) مفهوم الجمال في المسرح قائلاً:

"ليس الجميل هو ما يبهر ويسكر مسرحياً، بل الجميل ما يرفع حياة الانسان والنفس البشرية على خشبة المسرح وفي القاعة، أي مشاعر الممثلين والمشاهدين وأفكارهم".

٥ . مراعاة مراحل نمو الخيال عند الطفل، هذه القدرة العقلية التي لا تتمايز عن قدرات أخرى غيرها قبل سن الثالثة،أو أننا لم نكتشف ظهورها قبل هذه السن بسبب من عدم صدور سلوك عن الطفل ينم عن أن قادر على التخيل في تلك الأيام الأولى من حياته. لذلك فإن كلاماً عن مسرح الأطفال لا يكون ممكناً قبل سن الثالثة.

ثم أن خيال الطفل بين الثالثة والسادسة يتمايز عن قدرات الطفل العقلية الأخرى ويتسم بالإحيائية، بحيث يعتقد أن لكل الأشياء من حوله حياة وأنها قادرة على الشعور باللذة والألم.. ويكون العمل المسرحي المناسب لهذه السن هو مسرح الدمى المتحركة (العرائس)، وهو إن أسعف بالنص الجيد يكون قادراً على تقديم العون لنمو الخيال عند الطفل وإيقاظه. وتغذية الخيال بالقصص والحكايات الممسرحة التي يكون أبطالها من الدمى، والتقيد بعدم الإفراط بما يثير خيال الطفل مما يسيء إلى حياته الانفعالية ويدعه عرضة للكوابيس والقلق والتوتر.

وبين السادسة والسابعة يصبح الطفل ميالاً إلى الخرافة، ويصبح تخيله إبداعياً تركيبياً يجد في القصص الخرافية مادة خلابة يميل إليها بقوة. فمن تلك القصص التي تستهويه على المسرح (علي بابا والأربعون حرامياً مغامرات السندباد، علاء الدين والمصباح السحري، الشاطر حسن، الخاتم السحري).

وبعد السابعة تنمو الاهتمامات بأعمال البطولة والتشبه بالأبطال، ويتجه اهتمام الطفل وينجذب إلى الحكاية وما فيها من أحداث وتشويق. وتثار حماسته عند سماعه أحاديث أشخاص يقومون بأعمال جريئة، يتحاشون الوقوع في الأخطار حين يفاجؤون بها، ويتغلبون على أشد المصاعب فتصبح قصص طرزان والرجل الآلي والرجل المطاطي وأمثالها من القصص التي تجذبه.

وتتشمل مهمة المسرحيين في تحويل مثل هذه القصص إلى نصوص مسرحية تمزج

الحقيقة بالخيال ويتعود الطفل شيئاً فشيئاً تركيز الملاحظة، فتنمو لديه القدرة على ذلك، وإيقاظ الفكر النقدي وذلك بالعمل على الملاءمة مُا بين الحماسة والعقل، وما بين الخيال والواقع.

وكما في السنتين السابقتين يكون مطلوباً الابتعاد عما يفزع الطفل ويجعله أسير المخاوف حفاظاً على نمو انفعالات الطفل وحماية سلوكه من المؤثرات التي تحبطه وتحرفه.

أما في سنوات الطفولة الأخيرة ما بين العاشرة والثانية عشرة. يصبح خيال الطفل ميالاً للبطولة والقصص التاريخية. والنصوص المسرحية التي تراعي هذه الخاصة في خيال الطفل فإنها تسهم في تنمية اتجاهات وقيم ايجابية فيما يتعلق بسلوك الطفل الفردي وبتطلعاته الاجتماعية. وتساعد هذه النصوص على أن يتقمص شخصيات المسرحية وهنا تبدو مسؤولية الكاتب المسرحية في اختبار أشخاص المسرحية وفق أسس واتجاهات تربوية واجتماعية.

والخلاصة إن لمسرح الأطفال ضرورات اجتماعية تربوية، وله وظيفة ثقافية، وفيه تدريب لقدرات الطفل العقلية ولاستجاباته الانفعالية. وهو يسهم في رفع مستوى الذوق الفني لدى الفرد والجماعة.

فيما يلي نعرض نصوصاً مسرحية أعدها كتابها لتكون نصوصاً صالحة لمسرح الأطفال مع بعض التعليقات عليها التي تهدف إلى توضيح ما سلف من كلامنا عن مسرح الأطفال.

النموذج الأول:

نص مسرحي معدّ للأطفال ما بين العاشرة والثانية عشرة النشيد الرابع من مسرحية غنائية عنوانها (الشيخ والقمر)[١٠]

أعد هذا النص المسرحي الشاعر (سليمان العيسى) عن قصة للكاتب التونسي (عبد الرحمن أيوب) بعد ترجمتها عن الفرنسية.

"تجمع الأطفال كالعادة حول العم حماد، وهو يمسك بربابته، ويستعد للغناء.."

الأطفال: حدثنا يا عماه
عن سحر الأمواج

---

(١٠) نشر هذا النص على حلقات في مجلة المعلم العربي . بدءاً من العدد الثالث ١٩٨٦ .

أسـرار الأمـواج
ماذا كان الشيخ
الحالم يـحـكـي
لـلأمـواج؟

العم حماد: هي التي كانت تزفّ الغناء
لجارها الساهي بحضن المساء
كانت تحيط به، كانت تداعبه
في الشطّ وحدهما: شيخ وقاربه
عرائس البحر أوتار وأغنية
خضراء تحنو عليه أو تعاتبه
والموج يحبّ الليل
ويحبّ القمر السابح في عتمات الليل
ويغني للضوء الشفاف أرقّ أغاني الليل
وتهزّ النغمة قلب الشيخ
فيصدح في أرجاء الليل

الأطفال: أسمعنا أغنية الشيخ

أسمعنا أغنية الشيخ
ماذا غنّى البحار؟

ماذا قال البحار؟
هذا الجدّ المزّمل بالألحان
والأسـرار

الطفل طارق (بلهجة
أكـبـر مـن سـنّـه):
القادم من قرطاج
الزارع في الأرض
الـعـطـشـى

هذا الضوء الوهّاج
من صيدا، أو من صور

أولى قطرات النور

العم حمّاد: "في شرود"
أولى قطرات النور
والشيخ البحار الأول
مـشـى
وبناء التاريخ ارتفعا

أولى قطرات النور
أبداً عنّا نسأل
مـن هـذي الأرض
وسـعـى
وعلت في الأرض
الـدور

وعلت في الأرض
الـدور   طارق "بلهجة يبدو فيها
أكبر من سنه كثيراً":
أحنّ إلى أغانينا القدامى   إلى عبق البنفسج
والخزامى
وهذا الشيخ فمن
أبـدعـوهـا   فأنشدنا قصائده اليتامى
العم حماد "بصوت
رخيم":   كان يشكو إلى القمر
ما يعانيه في السهر   في الليل تلفه
صامتاً وحشة العمر   تصفع الريح وجهه
يتلهى به القدر   تلهب الشمس رأسه
كلما ركبها عبر   وحده.. كان بلسماً
لجراحاته القمر   وحده يغسل الأسى
كلما ضوءه انهمر   كيف لا يعبد السنا
كيف لا يعشق الفجر   الأطفال (في صوت
واحد مع العم حماد):
أنت للناس كلهم   أنت للحب يا قمر.

يقترب هذا النص من المستوى العقلي واللغوي لأطفال السنوات الأخيرة من مرحلة الطفولة كما حدّد له الشاعر. في النص ميل لجماليات لم تكن مما يجذب انتباه السنوات السابقة على هذه الفترة..وغنائية النشيد فيها جذب وتشويق للأطفال.. لكن المقاطع التي تنشدها الشخصية الرئيسية في النص (حماد) طويلة إلى حد ما. والعناصر التاريخية في هذا النص مصوغة برمزية قد لا يدرك الأطفال ما ترمز إليه.

النموذج الثاني:

المشهد الرابع من نص (الأصدقاء) للكاتب (عبدو محمد)[١١]

---

(١١) الموقف الأدبي العدد (٢٠٨ . ٢٠٩ . ٢١٠) ص٢٨٧ .

(الخروف يرعى وسط المرج، يتسلل الذئب ويصل إليه، يدور حوله وهو يرقص ويغني فرحاً)..

الذئب: فرصتي سانحة   وصيدي ثمين
أنهش لحمه   بعزم الجائعين

الخروف: ماع..ماع..ماع..   أيها الأصدقاء
أنجدوني   الذئب قد جاء
أنجدوني

"يدخل الأصدقاء من أطراف المسرح، يحيطون بالذئب ويوجعونه ضرباً، يهرب الذئب متوجعاً فيضحك الأصدقاء".

الديك ضاحكاً: نقرت أنفه بقوة

الخروف (باستهزاء): أنت: (جاداً) نطحتي هزته هزاً

الحمار: بل ركلتي دحرجته

الثور للحمار (باستهزاء): أنت (جاداً) نطحتي أنا قلبته

الحصان: مهلاً، مهلاً يا أصدقاء   جميعنا جمبعنا الأرض والسماء.
وضربنا الأعداء

الحمار: اسكت أنت

الخروف: بل اسكت أنت

الثور: اخرسا أنتما

الديك (صائحاً): إياكم والخلاف   إياكم والخلاف

يتقدم الخروف لينطح الديك فيهرب منه، يركل الحمار الخروف، وينطح وينطح الثور الحمار.. ويتعارك الجميع فترة ثم يتوقفون).

الحصان:

لا خير منكم   لا خير منكم
لأن الخلاف   قد دبّ فيكم

الحمار (متوجعاً): آه.. آه.. آه.. (وهو يخرج)
مادمت المهان   سأرحل بعيداً
سأرحل بعيداً   مادمت المهان

الخروف: (يخرج من طرف آخر) وأنا راحل

الثور: (يخرج من طرف آخر) وأنا راحل

الديك:

الـويـل لـكـم فرقة الأصدقاء فرصة لكم
يـا ويلـكـم..يـا ويـلـكـم

يتناسب هذا النص مع مستوى الطفل بين (٦ . ٩ سنوات). ويدور على ألسنة الحيوانات. ويمكن أن يقدم الأطفال أدوار الحيوانات ويمكن تنفيذه في مسرح الدمى. الحوارات قصيرة والشخصيات مما تجذب يغلب على النص الطابع الغنائي وهو عنصر جذب وتشويق تحمد عليه المسرحية، يهدف إلى تكوين قيم واتجاهات (التعاون والمحبة، ونبذ الفرقة، والخلاف وإحلال روح الجماعة محل الروح الفردية، والحث على الوحدة للوقوف في وجه الأعداء).

خاتمة:

التنطع لعملية تثقيف الطفل مسؤولية أخلاقية. لأن أثرها في مستقبل الطفل سيترك أثره في مستقبل الأمة وتقدم المجتمع. وقد اخترنا أدب ومسرح الأطفال كمادتين أساسيتين في ثقافة الطفل، وبيّنا الأسس التي يجب أن تبنى عليها هاتان المادتان، بحيث يمكن لهما أن يسهما في تحصين الطفل العربي وفي امتلاكه الوسائل التي تمكنه من التكيف مع الكم الهائل من المؤثرات السمعية البصرية التي تأتينا كالسيل الجارف من كل الجهات وذلك في إطار المحافظة على تماسك شخصية الطفل العربي ووحدة الشخصية القومية للأمة العربية من هنا تبدو المسؤولية التي يتحملها المبدعون العرب في شتّى صنوف الأدب جسيمة وكبيرة. وهو ما يحتم على العرب تبني استراتيجيه موّحدة خاصة بتثقيف الطفل في ضوء استراتيجية تثقيفية عامة تحمي وجودنا القومي وتحصّنه من عمليات الغزو والخرق الثقافيين وأثرهما في الاتجاهات والقيم العامة عند المتلقي العربي طفلاً كان أم راشداً. لا سيما والأخطار الاعلامية جسيمة تبثها وسائل سمعية وبصرية من كل صوب. إضافة إلى تلك الوسائط الاعلامية المزروعة في قلب الوطن العربي والتي تأتينا بمواد متنوعة الأغراض تهدف في النهاية إلى خلخلة البناء القيمي وتشرذمه. هذا إلى ما يتربص بنا من أخطار اتصالية تسببها الأقمار الصناعية، تقدم بغفلة منا مواداً إعلامية سمعية وبصرية من جهات العالم كافة تدخل بيوتنا وعقولنا ودون استئذان، وتقتحم حياتنا مما سيكون له آثار سلبية تؤدي إلى زعزعة المقوم الثقافي في شخصيتنا القومية. في زمن أهم سماته زعزعة القيم وفوضى الإعلام، وولادة امبرطوريات التسلية واللهو والعبث بالمقدسات الانسانية.

المحتوى

منشورات دار علاء الدين

١ . التشريعات البابلية . تأليف عبد الحكيم ذنون.

٢ . مذكرات عن الإنقلاب العسكري . م. غورباتشوف.

٣ . كيف تكونين جميلة . زويا ميخائيلينكو.

٤ . المساج النقطي . زويا ميخائيلينكو.

٥ . الطب الشعبي ومجالاته . جارويس.

٦ . دليل السائح الروسي . د. ماجد علاء الدين.

٧ . قصص قصيرة . ليف تولستوي . ترجمة رسلان علاء الدين.

٨ . قفزة . تأليف ليف تولستوي . ترجمة ريما علاء الدين.

٩ . قصة الوقت الضائع . ترجمة رسلان علاء الدين.

١٠ . حكاية العملاق العجيب جونغ . ترجمة ريما علاء الدين.

١١ . طائر الكريم . مجموعة قصص . تأليف: وهيب سراي الدين.

١٢ . أسرار الكون. تأليف مجموعة من العلماء.

١٣ . القوة العصبية. تأليف د. بول بريغ.

١٤ . العلاج بعصير الخضار والفواكه. تأليف: نورمان ووكر.

١٥ . دليل مريض السكر. ترجمة: لجنة الترجمة في دار علاء الدين.

١٦ . الطريق إلى الصحة: كيف يتغذى المعمرون.

١٧ . صفحات من تاريخ فن الرقص في العالم. إعداد: فائق شعبان.

١٨ . الأجسام الطائرة المجهولة. تأليف كوزوفكين وسمينوف.

١٩ . علاج الأمراض الجلدية بالأعشاب. تأليف: ب. داتسكوفسكي.

٢٠ ـ حلوى الأطفال: تأليف: مارغريت باول.

٢١ . التربية السليمة للطفل: تأليف موريس لين . ترجمة: سميح شيا.

٢٢ . دليل الحامل: ترجمة: لجنة الترجمة في دار علاء الدين.

٢٣ . تاريخ القانون في العراق: تأليف: عبد الحكيم الذنون.

٢٤ . تقليم أشجار الفاكهة:ترجمة وإعداد طه شيخ حسن.

٢٥ . طقوس الجنس المقدس . تأليف س. كريمر . طبعة ثانية ١٩٩٣ .

٢٦ . الديانة الفرعونية . تأليف واليس بدج . طبعة ثانية ١٩٩٣ .

٢٧ . الجنس في العالم القديم . بول فريشاور . طبعة ثانية ١٩٩٣ .

٢٨ . شريعة حمورابي . مجموعة مؤلفين طبعة ثانية ١٩٩٣ .

٢٩ . العرافة وسوسة أم ...؟ . مجموعة باحثين.

٣٠ . اللؤلؤة النادرة: حكاية شعبية فيتنامية ترجمة: أكرم أبو راس.

٣١ . أعشاب الشفاء إعداد د. ماجد علاء الدين . زويا ميخائيلينكو.

٣٢. تحضير الكيك والكاتو والكريما . تأليف: مارغريت باتن

٣٣ . سلسلة القسام التعليمية . قصص وديع اسمندر.